

د. ابراهيم عيسى

معركة الشريعة كجاهلي
بين الرافعي وطه حسين
بحث موضوعي مفصل



الأهـلـاء

إلى يميني وعلاء الدين زهرة حياتي ، وقاهما الله
من كل سوء ، وإلى زوجتي ، التي تقوم مشكورة
بنسخ ما أكتب ، على ما في ذلك من عنت وبرغم
انشغالها في بحثها العلي .

مقدمة

في الصفحات التالية عرض متصل لقضية الشعر الجاهلي ، التي اثارها الدكتور طه حسين بكتابه « في الشعر الجاهلي » ، وهبت طائفة من النقاد والعلماء يردون عليه ويفندون منهجه وآراءه ، وكان على رأسهم المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، الذي ركزت الكلام عليه من بينهم هنا .

وقد حاولت بكل ما استطيع ان اعرض المسألة بالحياد العلمي المطلوب . فلم اضع في حسابي نصره أحد الطرفين على الآخر ومن ثم تمسدد وامقت كل واحد منهما على ما اعتقد انه الصواب وخالفته فيما احسبت انه خطأ .

وقد يضيق بعض بهذا الموقف مني أو ذاك ، بيد ان ذلك لم يكن في بالي وأنا اكتب هذا البحث ، اذا كان شغلي الشاغل هو ارضاء الحق جل وعلا . والذي اعرنه انني كتبتة وأنا راضى الضمير ، وفرقت منه وأنا ايضا راضى الضمير . من هنا فلا على اذا رضى قوم أو سقط آخرون ، فالهم رضا ربى . فان رضى ، وهو غاية المراد ، وكان الذي بينى وبينه عامرا فلست اباالى ان كان الذي بينى وبين غيره خرابا .

اللهم تقبلْ عملى ، واجمله في ميزان حسناتى يوم القيامة ، واضمهم بصبرنى بنور الحق واليقين ، وثبت قدمى على صراطك المستقيم ، وأمدنى بمقدرك من عنائك ، انك يا مولاي نعم النصير !

بني وكيف بعثت معركة الشعر الجاهلي ؟

في سنة ١٩٢٥ تحولت الجامعة المصرية من جامعة أهلية الى جامعة حكومية ، وفي تلك السنة نفسها (في بداية العام الدراسي ٢٥ - ١٩٢٦) ابتدأ الدكتور طه حسين يحاضر عن الشعر الجاهلي محاضراته التي أصدرها بعد ذلك في كتابه المشهور الذي أحدث ضجة هائلة اثر صدوره لما حواه من قضايا على أشد جانب من الخطورة ، وهو كتاب « في الشعر الجاهلي » ، الذي انتهى امره الى ان صودرت نسخه من الاسواق ، ثم حُفِفَ منه مؤلفه فصلا واضاف اليه عدة فصول واعاد إصداره بعد ذلك بعنوان « في الأدب الجاهلي » .

وما أن وقعت نسخة من الكتاب في يد المرحوم مصطفى صادق الرافعي حتى كتب مقالة بعنوان « قال انما أوتيته على علم ، بل هي فتنة » ، وهي مقالة طويلة استغرقت (في الطبعة الثالثة من كتابه « تحت راية القرآن ») ست عشرة صفحة من القطع الكبير ، ثم تتابعت مقالاته في هذا الموضوع ، تلك المقالات التي كانت عناوين معظمها عبارات من القرآن الكريم تدل على مضمونها العام والتي جمعها بعد ذلك في كتاب له سماه « تحت راية القرآن » ، وهي تسمية ، كما ترى ، تشي بأنه رحمه الله كان يرى أنه بمقالاته هذه انما هو جندى يرفع راية القرآن ويدافع عنها وعنائه .

والذي اعرفه انه رحمه الله كان اول من تناول بالنقد (في مقالة المشار اليها آنفاً) كتاب « في الشعر الجاهلي » ، اذ أصدرها اثر وقوع الكتاب في يده ، ولا اظن انه كان قد مر وقت يذكر بين صدور الكتاب وبين مصيره الى يد الرافعي ، اذ لم يكد ينشر الرافعي مقالته الثانية عن الكتاب حتى « نهض » (كما يقول هو) العلماء كافة في جميع المعاهد الدينية في اسبوط واسكندرية وطنطا ودمياط والزقازيق والقاهرة لمحققوا الحاد استاذ الجامعة (يقصد طه حسين) وجهله وحظله ، ثم أرسلوا البرقيات الى جلالة ملك مصر

وزرئاسة وزرائها ووزارة المعارف ونهبوا الامة جميعاء ، فخلق البرق من كل جهات القطر بالاحراج على استاذ الجامعة « (١) » ، ومعنى هذا أنه لم يسبق الرافعي أحد آخر في نقد الكتاب وتبيين ما فيه من هجوم على القرآن والاسلام والا لفهض العلماء نهضتهم هذه قبل ذلك . وقد عاد الأستاذ الرافعي رحمه الله فذكر في مقالة تالية أنه أول من نبه الى ما في كتاب طه حسين من الحاد ثم تبعه العلماء في ذلك (٢) ، وهو ما يؤكد أن الرافعي كان هو السباق الى نقد كتاب طه حسين . هذا ما استنتجته من سياق هذه القضية وسير أحداثها ولا اعلم غيره ، فان ظهر انى أخطاء رجعت عن رأيي .

على أن هذا شيء والقول بأن الرافعي أول من انتقد ما قال طه حسين عن الشعر الجاهلي شيء آخر ، فقد سبقه الى هذا الأستاذ عباس مغشنى والأمير شكيب أرسلان (٣) . وقد ذكر المرحوم الرافعي أنه كان يعلم أن طه حسين يلقى دروسه في الشعر الجاهلي غير أنه لم يقف على شيء منها ، حتى تبعه مقال الأستاذ عباس فضلى ثم مقال الأمير شكيب أرسلان (٤) . أن كتاب « في الشعر الجاهلي » لما يكن قد صُدر ، ومن ثمة كان النقد الذي وجهه الأستاذان الفاضلان الى طه حسين منصبا على ما يقوله في محاضراته (٥) . وقد دارت مقالة الأستاذ فضلى على ما انتهى اليه طه حسين من أنه « لا تأثير للوثنية واليهودية والنصرانية على الشعر العربي والجاهلي منه على الأخص ، وأن ما وجد من الشعر مشتقاً على مبادئ للوثنية أو اليهودية إنما هو محسوس على من نسب اليهم ، وأنه لم يكن موجوداً في عصرهم » ، وعلى

(١) تحت راية القرآن/ مطبعة الاستقامة بالقاهرة/ ط٣/ ١٩٥٢/ ص ١٥٨ .

(٢) انظر ص ١٦٧ من كتاب الرافعي ، وهو من مقالة بعنوان « فلما أدركه الفرق » .

(٣) انظر مقالتيهما في كتاب « تحت راية القرآن » / ص ٨٢١ - ٨٦١ و ٨٧٥ - ٩٦ على التوالي .

(٤) انظر تحت راية القرآن/ ص ٦٩ .

(٥) انظر تحت راية القرآن/ ص ٨١ ، وص ٨٨ متنا وهاشما .

ما بنى عليه الاستاذ الدكتور هذين الفيضين من « ان المسلم المسلمين
 جمعوا تداول كل شعر اشتمل على مبادئ هذه الديانة مما يخلف سنن
 الاسلام وبنائه ومجوه جميعه ، وان اهل هذه الملل بعد سكون حركة
 الففوحات واستتباب السلم وتيقظ الحركة الفكرية في ميدان الادب والعلم
 قد دفعهم تعصبهم لشعراء ملتهم السابقين الى القول عليهم بما لم يقولوه
 ونسبة اشعار اليهم لم تكن من تسج بيتهم ولا هي من متوكلت عقولهم » (١) .
 كما دارت مقالة شكيت ارسال ، التي ظهرت بعد محالة الاستاذ على
 على النقطة نفسها .

ليس الرافعي اذن أول من انتقد ما قاله طه حسين عن الشعر
 الجاهلي ، ولكنه فيها أعرف هو أول من تناول آراء طه حسين المكتوبة في
 هذا الموضوع تناولاً مستفيضاً مفصلاً ، لا في مقالة واحدة بل في عدة مقالات
 قلب فيها كتاب « في الشعر الجاهلي » تقليباً ، وأول من نبه الى ما في الكتاب
 من آراء تتناقض من الايمان بالاسلام وكتابه ونبيه . ولا شك ان من تناولوا
 آراء طه حسين بعد ذلك قد استفادوا من هذه المقالات المبيحة التي ترك
 فيها الرافعي اغرابه في الأسلوب والفكرة والصورة وترك نفسه الى حد
 كبير على سجيته ، فامتع ببيانه المتدفق وعلمه الرصين وتهكمه اللاذع ،
 وان لم يعن هذا اتنا نواقعه على كل ما قاله .

وليس معنى هذا ان الرافعي لم يتناول رأي طه حسين في الشعر
 الجاهلي قبل ان يصدر كتابه عن هذا الشعر ، فقد كتب في ذلك مقالات أرسا
 عنوانها كالاتي : « الى الجامعة المصرية » و « الى الجامعة ايضا »
 « وشهد شاهد من أهلها » و « فلسفة كمضغ الماء » (٢) . وهي مقالات قصيرة

(٦) المرجع السابق/ص ٨١ .

(٧) ذكر الاستاذ الرافعي أنه كتب مقالاته التي يرد بها على محاضرات
 طه حسين وكتابه « في الشعر الجاهلي » في جريدة « كوكب الشرق » .
 انظر تحت راية القرن/ص ٦٩ .

بالتقصية لمقالاته التي كتبها بعد ذلك في نقد كتاب « في الشعر الجاهلي » بعد
محدوده . كما انها تدور في الأساس حول ما دارت عليه مقالات عباس فضلى
وشكيب أرسلان مع بعض الاضافة ، ولكن في ايجاز شديد . وقد وجه
المقالة الاولى الى المسؤولين في الجامعة يسألهم : هل قرر استاذها (يعنى
طه حسين) ما نسب اليه من تشكيكه في الشعر الجاهلي وان القرآن هو
الذى يمثل العصر الجاهلي لا ذلك الشعر المنسوب اليه وان الغزل المعزو
الى امرئ القيس هو لابن ابي ربيعة ؟ واذا كان قد قرر ذلك فما اقلته ؟ وهل
يصح ان يترر ذلك في دروسه التي يتقاضى اجراها من مال الامة ؟ (٨) أما في
المقالة الثانية فقد شكك في مقدرة طه حسين على الاضطلاع بتدريس تاريخ
الادب العربى (٩) ، وفي الثالثة يتهمة بالتلاعب بالتاريخ ورمى الاسلام بأنه
دين الحرج والتعصب وضيق الفكر اذ ان المسلمين وحكامهم ، على ما قال ،
قد محوا في بداية الاسلام شعر اليهود والنصارى والوثنيين . كما يسميه
« المبشر طه حسين » ، ويشير الى مقالة في « البلاغ » يتهم كاتبها طه حسين
انه سرق محاضراته عن امرئ القيس من من دائرة المعارف الاسلامية ،
ويطالب الجامعة بان تعقد مناظرة بينه وبين طه حسين (١٠) . وفي المقالة
الرابعة يسميه منهج طه حسين في دراسة التاريخ ، ويعود فيؤكد أنه
لا يصلح للقيام بالتدريس في الجامعة ، ويختتمها بأرجوزة تهكمية فيه . وقد
الحق بهذه المقالة حاشية ذكر فيها أنه بعد كتابته لها تلقى كتاب « في الشعر
الجاهلي » وانه قرأ فصل « مرآة الحياة الجاهلية يجب ان تلتبس في القرآن » ،
وعند ذلك خبلا غليظا (١١) .

والملاحظ من مقالتى الأستاذ فضلى والأمير شكيب أرسلان ومقالات
الترافعى الأربع هذه أنه لم يرد في أيها ذكر لما قاله طه حسين عن قصصة

(٨) انظر تحت القرآن/ص ١١٣ — ١١٥ .

(٩) المرجع السابق/ص ١١٢ — ١١٨ .

(١٠) المرجع السابق/ص ١١٩ — ١٢٢ .

(١١) انظر المقالة في « تحت راية القرآن » ص ١٢٣ — ١٢٧ .

مبيناً إبراهيم وشيخنا اسماعيل عليهما السلام في القرآن من أنها أسطورية
تشتت بين العرب في العصر الجاهلي واستغلها الإسلام لأسباب سياسية
وغير ذلك ، وهو الفصل الذي أهاج الدنيا عليه وعند كلامه فيه مروقاً من
الإسلام فحذفه من الطبعة الثانية من كتابه ، الذي غير عنوانه إلى « في
الآداب الجاهلي » . فهل لم يلمس طه حسين هذا الموضوع في محاضراته ؟
الآداب الجاهلي » . فهل لم يلمس طه حسين هذا الموضوع في المحاضرة ؟
أم هل تعرض له في محاضراته قبل صدور الكتاب ولكن لم يبلغ كلامه فيه
أحدًا ممن كتبوا عن هذه المحاضرات ؟ لقد نفى لطفى السيد أن يكون طه حسين
قد ألقى على طلبته ما جاء في الكتاب (١٢) . فإن كان يقصد كل شيء جاء في
الكتاب فهو يجافي الوقائع التاريخية ، والا فكيف عرف عباس مضى وشكيب
أرسلان وطه حسين ببعض أفكار الكتاب قبل صدوره ؟ كذلك فإن عندنا
الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذي كان في ذلك الوقت واحدًا من طلبة قسم
اللغة العربية الذين كان طه حسين قد حاضرهم في هذا الموضوع ، والذي
شهد بأن طه حسين قد حاضرهم في هذا الموضوع ، وأنه ناقش
طه حسين في آرائه ، بل واتهمه فيما بينه وبين بعض الطلاب وكذلك أمام عدد
من المستشرقين الذين كانوا إسماعلة في كلية الآداب في ذلك الوقت بأنه سرق
أفكاره هذه من مارجليوث المستشرق الإنجليزي ، وانتهى الأمر به إلى ضيق
ونفور ، فأبغض الجامعة وتركها ولم يكمل دراسته بها (١٣) . بيد أن الملاحظ
أيضاً أن الأستاذ شاكر لم يشر إلى أن طه حسين قد رفض صراحة شيئاً
مما جاء في القرآن ، مما يعود بنا إلى الأسئلة السابقة (حول هذه النقطة)
التي لا نجد لها جواباً ، اللهم إلا إذا أخذنا ما قاله طه حسين في كتابه على
ظاهره ، إذ ذكر أنه أذاعه على تلاميذه ، وأنه ليس سراً ما يتحدث به الإنسان

(١٢) تحت راية القرآن/ص ٣٨٧ .

(١٣) أنظر محمود شاكر/المتنبى/المسفر الأول/ص ١٥ — ٢٦ ،
٤٠ — ٤١ ، ومجلة الثقافة/المعد ٦٠ ، سبتمبر ١٩٧٨/ص ٧ ، ١٢ ، ١٤ ،
(وذلك من مقالة للأستاذ شاكر أيضاً بعنوان « المتنبى . ليتنى ما عرفته ») .

الى اثنين من التلاميذ (١٤) . ومع ذلك فقد يحكى في البعض سؤال : لو قد
ضى طه حسين هذا الذى قتله بهذائيره ، بمعنى هل جاضر فعلا طلابه قبل
صدور الكتاب فى كل ما ورد فى هذا الكتاب لم انه ارسل القول بغير تجرؤ ؟ ان
الذى جعلنى اتف ايلم هذه المسألة هو ، كما اثرت ، ان احدا من الذين كتبوا
من المحاضرات قبل صدور الكتاب لم يفكر ان طه حسين قد رفض ما جاء
فى القرآن صراحة ، بل ان الاستاذ محمود شاكر ، حتى بعد مرور هذه
الاعتقود ، لم يشر هو ايضا الى هذه النقطة . فان كانت الاجابة على الشق
الطلى من السؤال بنعم بمعنى ذلك ان لطفى السيد حين نفى ان يكون طه
حسين قد جاضر الطلاب فيها جاء بعد ذلك فى كتابه ربما كان قصده ان طه
حسين لم يهاجم القرآن فى محاضراته ، وهو فى الحقيقة ما يفهم من عبارة
الشيخ محمد احمد عرفة فى كتابه « نقض مطاعن فى القرآن الكريم » (١٥) .
ومع ذلك فان الفصل الذى اتهم فيه طه حسين الاسلام بانه استغل ما سواه
باسطورة هجرة ابراهيم واسماعيل الى مكة لاسباب سياسية هو من اوائلى
الفصول فى الكتاب ، اذ هو الفصل الرابع من الكتاب الاول (وبالنسبة
لكتاب « فى الشهر الجاهلى » مقسم الى ثلاثة كتب) ، ويشغل الصفحات
من ٢٤ الى ٤٠ . وما جاء فيه هو واحد من الاسس التى بنى عليها نظريته
« اقول : « نظريته » هنا تجاوزا . وسوف نناقش ذلك فيها بعد تفصيلا »
« مما يجعلنى استبعد ان يكون طه حسين لم يفكر ذلك فى محاضراته . ولكنى ،
كما سلف القول ، اصطدم بالحقيقة التى مؤداها ان احدا ممن تكلم من
محاضراته لم يشر ، فيها اصرف ، الى انه ردد فيها هذا الكلام . وهى
قضية ، كما ترى ، لا يمكننى البت فيها برأى لا محتب له ، وانها يمكن ان
يجلئ لنا هذا الموضوع احد الذين سمعوا هذه المحاضرات من لا يزالون
احياء ، اطال الله فى اعمارهم .

(١٤) انظر محمد احمد عرفة/نقض مطاعن فى القرآن الكريم/ص ١١٦ —
١١٧ . وقد حافظ الدكتور طه حسين على هذه العبارة حتى فى الطبعة الثانية
للكتاب ، الذى غير عنوانه الى « فى الادب الجاهلى » . انظر ص ٦١ من هذا
الكتاب/دار المعارف/١٩٦٤ . (١٥) انظر ص ١١٦ .

القضايا المتصلة بهذه الحركة

وقد تناولت مقالات المرحوم الرافعي التي انتقد فيها كتاب « في الشعر الجاهلي » عدة قضايا هامة : الأولى انه اتهم طه حسين في دينه ، والثانية حرية الفكر ، والثالثة قوله انه يسرق أفكاره من المستشرقين ، والرابعة تفسيره لمنهج الذي اتبعه في دراسة الشعر الجاهلي ومناقشته لآرائه وتقليدها . وسوف نتناول هذه القضايا واحدة بعد الأخرى مع ما يتصل بكل منها من قضايا أخرى .

ونبدأ باتهام الرافعي لطه حسين في دينه . وقيل ان نعرض لها قال الرافعي في هذا الصدد نذكر ان سماح كريم يربط بين هجوم الرافعي على طه حسين عند ظهور كتاب « الشعر الجاهلي » وبين انتقاد طه حسين قبل ذلك لأسلوب الرافعي (١٦) . وقد ساق هذا بطريقة توحي ان الرافعي حين انتقد كتاب « في الشعر الجاهلي » انما كان مدفوعا بعامل الانتقام لا بدافع البحث العلمي والغيرة على الدين . وهو ما فعله أيضا عند اشارته الى نقد المرحوم رشيد رضا للكتاب ذاته ، اذ أرجع هذا النقد الى اتهام طه حسين لرشيد رضا في صدق دينه واخلاص دعونه الى الدين (١٧) . وانا وان كنت لا استبعد تدخل العوامل الشخصية في هجوم الرافعي على آراء طه حسين (الرافعي بشر على كل حال) لا اظن ان هذه العوامل هي المحرك الأول للرافعي رحمه الله ، والا لفضحه تكرر طه حسين آياه بخير في كتابه

(١٦) انظر سماح كريم/ماذا يبقى من طه حسين/ص ٥٠ — ٥١ وانظر في هذه الحركة القلمية كتاب الرافعي « تحت راية القرآن » ص ١٠٠ — ١١٤ ، وحديث الأربعماء/لطه حسين/ج ٣/ص ٣ — ٤٠ . كذلك فان كتاب « طه حسين الشاعر الكاتب » لمحمد سيد كيلاني يلقي ضوءا على بدايات الخلاف بين الكتبيين . ص ١١٦ — ١٢٠ .

(١٧) انظر ماذا يبقى من طه حسين/ص ٥١ .

« في الشعر الجاهلي » نفسه وثناؤه فيه على كتابه « تاريخ آداب العرب » من التعرض له (على الأقل بهذا المنقب (١٨)) ولما هاجم لطفى السيد أيضا ، وهو لم يسيء اليه ، بل على العكس مدح كتابه في تاريخ الأدب العربي حين صدوره محمداً جزيلاً ، وجعله محور حديثه في كل منتدى يذهب اليه في القاهرة (١٩) ، وعلى أية حال فللمعبرة بصحة رأي الرافعي أو عديمه ، وهل استند في اتهمائه لفريته الى دليل لو افه ارسل الاتهام ارسالا ؟ كذلك لا نفس انه اذا كان الرافعي قد اتهمه في دينه فقد سبق ان فتح طه حسين هذا الباب وشيك في تعيين رشيد رضا واخلاصه في الدعوة الى الدين كما رأينا . اقول هذا لأن بعض الباحثين قد حمل على الأستاذ الرافعي لموقفه هذا من طه حسين وحذرنا من ان نكون آراءنا في هذه المسألة عن طريق السماع (٢٠) .

ونحن هنا لن نكتفى بتريديد رأي الرافعي في طه حسين بل سنعرضه على النصوص وسنقلبه على كل وجوهه . واريده ان اصارح القارئ منذ الآن بأن العلم لا يعرف تلك الحسابية التي تصيب بعض الناس حينها يرون من ينتقد هؤلاء الذين يعظمونهم ، وتدفعهم الى القول باننا ينبغي الا نتعرض لايمان هذا الشخص او ذاك ، على أساس ان هذا تدسس الى القلوب نهى عنه الاسلام . ان هذا الاعتراض يصح لو ان الباحث يرمي في هذه القضية بالغب ، ولكن اذا كانت هناك نصوص مقطوع بنسبتها لا يمكن تأويلها فمعنى

(١٨) وذلك بعد ان كان قد عاب هذا الكتاب قبل ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ١٠٠ ، ١٢١ ، وفي الشعر الجاهلي/ص ٩٠ - ٩١ (ص ١٩٢ من « في الأدب الجاهلي ») ، ومحمد سعيد العريان/حياة الرافعي/ص ١٥١ ، ٦٩ .

(١٩) انظر في هجوم الرافعي على لطفى السيد ومدح هذا الكتاب الرافعي « تحت راية القرآن » ص ٢٢١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٥ - ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ والعريان/حياة الرافعي/ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢٠) انظر مقالة د. ابراهيم عبد الرحمن « الى خصوم طه حسين : النص الكامل لمقالة مرجليوث في براءة عميد الأدب العربي » الأهرام/الجمعة ١٩٨٢/٢/٧ الصفحة الأدبية .

فذلك أن للباحث الحق في دراسة الأمر . وقد سبق أن تناول كثير من الدارسين عقائد أمثال يزيد بن الوليد وابن المقفع والمتنبى والمعري والحاكم بأمر الله ، فلم نسمع من ينكر عليهم ، فلماذا الكيل بمكيالين إذن ؟ أيا ما يكن الأمر فاننا هنا بصدد تناول رأى الرافعى في عقيدة طه حسين ، وهذا الرأى جزء من تاريخنا الفكرى والأدبى لا اظننا نكون أمناء لو أهلنا عليه التراب . كذلك فاننا لا ندعى أن ما سنصل اليه من نتائج هو كلام لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يقول هذا الا جاهل أو مغرور ، وانما هو اجتهاد علمى قد يصح وقد يخطئ . وإذا كان طه حسين قد رأى أن من العلم أن يقول ما قال فى القرآن الكريم فلماذا نعيب الرافعى اذا رأى في موقف طه حسين هذا رأيا ؟

أن الرافعى يرى أن طه حسين أداة أوربية استعمارية (٢١) ، غرضه توهين عرى الاسلام (٢٢) ، ويأخذ عليه أنه لم يصل على النبى مرة واحدة في كتابه ولو بحرف (ص) كما يفعل نصارى العرب (٢٣) ، ويسميه « المبشر طه حسين » مرة و « المستر حسين » أخرى (٢٤) ، ويشبه الجامعة (فى مجال العلم) بمستشفيات المبشرين (فى مجال الطب) (٢٥) ، ويكنيه « أبا مرجريت » و « أبا البرت » (٢٦) ، ويشير الى دور زوجته فى حياته وتأثيرها عليه (٢٧) ، ويتهمه بالزندقة (٢٨) والاحاد (٢٩) ، ويورد ايضا اتهام الشيخ مفتاح له بأنه كافر وتحديه له أن يقاضيه (٣٠) . وهو من ثمة يدعى

(٢١) تحت راية القرآن/ص ١٨٦ .

(٢٢) المرجع السابق/١٩٩ .

(٢٣) المرجع السابق/ص ٢٠٧ .

(٢٤) ص/١٢٢ ، ص/١٧٧ .

(٢٥) ص/١٤٥ .

(٢٦) ص/٢٠٠ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣ .

(٢٧) ص/٣٤٩ .

(٢٨) ص/١٢٩ — ١٣٠ .

(٢٩) ص/٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ .

الى ابتعاده عن الجامعة وحماية النشء من أفكاره (٣١) ويحرض عليه وزارة المعارف لانه ، كما يقول ، يناقض بآرائه ما يقال للطلبة في كتبها ومدارسها ، والمفروض في نظره الا يكون هناك تناقض ، والا فعليها ان تعلن صحة آرائه وتتابعه عليها (٣٢) .

وحين يدافع لطفى السيد عن طه حسين على أساس حرية الفكر يرد الرافعى بأنه لا ينازعه في معانى حرية الرأى واشباهها ولكن النزاع فى الجهل والكفر (٣٣) ، ومن هنا نراه يهاجم حرية الفكر اذا أدت الى الكفر وتقطيع الأرحام (٣٤) ، وان كان قد عاد فى موضع آخر فسلم للجامعة بحرية الكفر ، لا الفكر فقط (يأسا منه فيما هو واضح أن يصيح المسؤولون فى الجامعة السمع اليه فى هذه النقطة) ، وركز على « الغلطات التاريخية والأدبية التى وقع فيها أستاذها » (٣٥) .

واتهام الرافعى لطه حسين بالكفر قائم على أساس ان هذا الأخير يرى أن القرآن تأليف لا وحى ، وأن النبى عليه الصلاة والسلام رجل سياسة لا رسول ، وأنه يهاجم الصحابة (٣٦) ، وأنه يرفض الحديث الصحيح (٣٧) . وفى رأى الرافعى أن طه حسين يهاجم الأدب العربى « لانه أساس فى لغة القرآن ، ولأن القرآن أساس فى الدين ، ولأن الدين يثاقى مذهبهم فى الحضارة الغربية ، التى يعملون لها جهد طاقتهم » (٣٨) .

(٣٠) ص/٢٤٢ — ٢٤٣ .

(٣١) ص/١٨٨ .

(٣٢) ص/١٧١ .

(٣٣) ص/٣١٤ ، وان كان ظاهر كلامه قد يوحى بغير هذا .

(٣٤) ص/٣٠٦ .

(٣٥) ص/٢٧٣ .

(٣٦) تحت راية القرآن/ص ٢٠٥ .

(٣٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ ، ٢٠٥ .

(٣٨) المرجع السابق/ص ٣٠٦ .

والرافعى رحمه الله لا يلقى اتهاماته بغير دليل ، بل يسوق ما قاله طه حسين من أننا « يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربى وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به » (٣٩) ، وقوله (٤٠) انه للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما ايضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل وابراهيم الى مكة . . . ونحن مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الاسلام واليهودية والتوراة والقرآن من جهة أخرى » (٤١) ، وما قاله فى ص ٢٨ — ٢٩ من الكتاب نفسه من أن قريشا « كانت فى هذا العصر » (يقصد : عصر ما قبل الاسلام) ناهضة نهضة مادية تجارية ، ونهضة دينية وثنية ، وهى بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد فى البلاد وحدة سياسية وثنية مستقلة ، وأنه « اذا كان هذا حقا ، ونحن نعتقد انه حق ، فمن المعقول أن تبحث هذه النهضة الجديدة لنفسها عن أصل تاريخى قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التى تتحدث عنها الأساطير . واذن فليس ما يمنع قريشا من أن تتقبل هذه « الأسطورة » التى تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم ، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة « أسطورة » أخرى صنعها اليونان تثبت أن روما متصلة باينياس بن بريام صاحب طروادة » (٢٤) وكذلك ما قاله فى ص ٨٠ من كتابه السالف الذكر من أن القرآن « يذكر التوراة والانجيل ويجادل فيهما اليهود والنصارى . وهو يذكر غير التوراة والانجيل شيئا آخر هو صحف ابراهيم . ويذكر غير دين اليهود

(٣٩) المرجع السابق/ص ١٤٠ — ١٤١ . والنص موجود فى ص ١٢ فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

(٤٠) ص/٢٦ من كتابه « فى الشعر الجاهلى » .

(٤١) تحت راية القرآن/ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٤٢) المرجع السابق/ص ١٤٧ .

والنصارى دنا آخر هو ملة ابراهيم ، هو هذه الحنيفية التى لم نستطع الى الآن أن نقيين معناها الصحيح ، واذا كان اليهود قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان النصارى قد استأثروا بدينهم وتأويله ، ولم يكن أحد قد احتكر ملة ابراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها فقد أخذ المسلمون يردون الاسلام فى خلاصته الى دين ابراهيم(٤٣) ، وقوله فى ص ٨٣ من نفس الكتاب : « وليس يعينى هنا أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية بن أبى الصلت أو لا يكون »(٤٤) ، وقوله (فى ص ٨٥) فى الرد على المستشرق كليمان هوار وزعمه أن النبى قد استعان بشعر أمية بن أبى الصلت فى تأليف القرآن : « من ذا الذى يستطيع أن ينكر أن كثيرا من القصص كان معروفا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب أنفسهم ، وكان من اليسر أن يعرفه النبى ﷺ ، كما كان من اليسر أن يعرفه غير النبى . ثم كان النبى وأميه متعاصرين ، فلم يكون النبى هو الذى أخذ من أمية ولا يكون أمية هو الذى أخذ من النبى ؟ » ، فان الرافعى يلمح فى هذا الكلام أن النبى ، فى نظر حسين ، هو مؤلف القرآن وهو نفس ما يفهمه من قوله (ص ١٨٢) فى تعليل مخالفته لمن يرون أن انكار الشعر الجاهلى يسوء الى القرآن ، لأن القرآن ليس بحاجة الى شواهد من الشعر على الفاظه ومعانيها عند العرب : « ان أحدا لم ينكر عربية النبى فيما نعرف » ، فهو يرى فى الإشارة الأخيرة أن القرآن هو كلام النبى ، وقوله (فى ص ٧٢ — ٧٣) : انه يوجد « نوع آخر من تأثير الدين فى انتحال (يقصد : نحل) الشعر »(٤٥) الشعر وضافته للجاهليين ، وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبى من ناحية أسرته ونسبه فى قريش ، فلأمر ما اقتنع الناس

(٤٣) المرجع السابق/ص ١٤٨ .

(٤٤) المرجع السابق/ص ١٤١ ، ١٥٠ .

(٤٥) كتب المرحوم الرافعى بعد كلمة « انتحال » (كذا) . وقد لاحظت أن طه حسين فى وقت لاحق قد استبدل بهذه الكلمة الخطأ كلمة « نحل » .

أن النبي (٤٦) يجب أن يكون صفوة بنى هاشم وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الإنسانية كلها « (٤٧) ، فالرافعى يرى أن هذا تهكم واستهزاء بالحديث الصحيح التالى : « أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » (٤٨) . ومثل هذا تكذيبه بوجود امرئ القيس مما يعد رفضا للحديث الصحيح الذى ورد بذكره (٤٩) ، وقوله (ص ٥٥) (٥٠) : « أن يزيد صورة صادقة لجده أبى سفيان فى السخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن » (٥١) .

وبعد ، فهذا جل لا كل مارآه الرافعى رحمه الله مطعنا فى ايمان طه حسين بالاسلام وكتابه ونبيه . والحقيقة أن من الصعب تماما الدفاع عن طه حسين ، اللهم الا فى بعض النقاط الفرعية التى لا تقدم ولا تؤخر فى اتهام الرافعى له ، اذ قد يمكن القول مثلا انه حينما قال انه لا يعنيه هنا أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية او لا لم يجوز الاحتمالين كما فهم الرافعى ، ولكنه قصد أن هذا

(٤٦) الملاحظ أن الأستاذ الرافعى عليه رحمة الله ، كان يصلى على النبي عليه الصلاة والسلام فى كل مرة ذكر فيها فى هذا النص ، مع أن الأصل خال من ذلك . وقد حذفت عبارة « صلى الله عليه وسلم » حتى لا يظن ظان أنها موجودة هكذا فى الأصل فيكذب الرافعى فيما قاله من أن طه حسين لم يشفع اسم النبي مرة واحدة ولا بحرف (ص) .

(٤٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ .

(٤٨) الموضع السابق .

(٤٩) تحت راية القرآن/ص ١٩٧ .

(٥٠) ص ٥٥ ، وقد لاحظت أن الرافعى قد روى كلام طه حسين هنا بالمعنى . أما نص الكلام فهو : « وأما يزيد فقد كان صورة لجده أبى سفيان . كان رجلاً عصبية وقوة وفتك وسخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن » . (٥١) تحت راية القرآن/ص ٢١١ .

ليس موضع الرد على رأى كليمان هوار ولا أوانه ، لأنه مشغول فقط ببحثه في الشعر الجاهلى ، وان كان هذا في الحقيقة لونا من التأويل المتعسف لكلامه . كما قد يمكن القول ان حكمه على أبى سفيان مثلاً انما هو رأى اجتهد فيه ، ومهما يكن قد اخطأ فيه فان احسان القول في أبى سفيان ليس من دعائم الاسلام ، أو ان طه حسين اذا كان يرفض الحديث الشريف الذى ينص على افضلية الرسول واسلافه فلأنه يراه غير صحيح رغم وروده في كتب الصحاح . ثم قد يقول المجادلون ان النبى عليه الصلاة والسلام لا يضره ان يكون أسلافه أو لا يكونوا افضل البشر وهكذا . وقد نقبل جدلاً كلامه في عيب الأمويين ، ولكن هل من السهل أن تخفى علينا نبرة التهكم في تناوله الحديث الذى يؤكد افضلية الرسول على جميع البشر ؟ وهل يليق بمسلم ان تكون هذه نظرته الى الرجل الذى يؤمن بنبوته وما يعنى اصطفاء الله له للقيام بهذه الرسالة العظيمة التى لا يجتبى لها الا الافاذل الأخيار من البشر ؟

أيا ما يكن الأمر فما القول في رايه ان على من يريد دراسة الأدب العربى ان يتجرد من دينه ؟ ان هذا معناه شيء واحد هو ان الدين يناقض البحث العلمى ، فكيف يجمع طه حسين بين الايمان بالاسلام والايمان بالمنهج البحث العلمى وهو يرى انهما متناقضان ؟ ان عليه ان يختار واحداً منهما مادام الأمر كذلك ، لأن من المستحيل ، ألا على ذى عقل مضطرب أو مريض بانفصام في شخصيته ، ان يجمع بينهما .

ان طه حسين يعلن أنه في شكه في الشعر الجاهلى انما يجرى على منهج ديكارت . فكيف اذن تجاهل أحد القوانين الفطرية التى رأى ديكارت انها تملو على كل شك ، الا وهو « قانون عدم التناقض » ، الذى بمقتضاه لا يمكن ان « يكون » الشيء « ولا يكون » في الوقت نفسه ، بل اما ان « يكون » فقط أو « لا يكون » ؟ ان تطبيق هذا القانون على النقطة التى نحن بصدها يستلزم ان يؤمن طه حسين اما بالدين أو بالمنهج العلمى مادام في رايه متعارضين (٥٢) .

أما قول طه حسين ان في كل منا شخصيتين متميزتين : احدها عاقلة تبحث وتتقد وتحلل ، وتغير اليوم ما ذهبت اليه أمس ، والاخرى شاعرة تله وتالم وتفرح وتحزن وترضى وتغضب في غير نقد ولا بحث ولا تحليل ، وتساؤه : ما الذي يمنع أن تكون الشخصية الأولى عالمة باحثة ناقدة ، وان تكون الثانية مؤمنة ديانة مطمئنة طامحة الى المثل الأعلى ؟ مالك لا تدع للعلم حركته وتغيره ، وللدين ثباته واستقراره ؟ (٥٣) فهو مغالطات بهلوانية : فاولا ، اذا كان هو يعتقد أن الدين يتميز بالثبات والاستقرار فكيف يطالب الباحث باطراحه والتجرد عنه اثناء بحثه ؟ لقد كان احرى به أن يعرف اذن ان بحث الادب العربي لا يدخل في نطاق الدين ، ومن ثم فلم تكن به حاجة (لو كان فعلا يعنى كلامه هذا الأخير) الى دعوته المريبة تلك . وثانيا ، أنا لا أفهم العلاقة بين الرضا والغضب واللذة والألم والفرح والحزن وبين الايمان . ان الايمان هو اقتناع بعقيدة وتشريع ما ، والاقتناع من شأن العقل لا من شأن المشاعر ، التي كما يصورها هو نفسه لا تستقر على حال ، مع انه قال ان الدين يتميز بالثبات والاستقرار . ان الاسلام هو دين العقل لا التسليم القلبي دونما فهم او بحث او اقتناع ، على عكس الأديان الأخرى ، التي يقع المؤمن بها فريسة للصراع بين عقله وعلمه وبين ايمانه وتسليمه ، هذا الصراع الذي يظل يؤرقه ولو في أعماق نفسه اذا حاول أن يكتبه هناك في تلك الأعماق المظلمة بعيدا عن وعيه ، أو يدفعه في نهاية الأمر الى الكفر .

من هنا يرى الراجعي ان مقال طه حسين الذي اقتطف منه الراجعي ما سبق (وكان طه حسين قد نشره في « السياسة » تسويعا لموقفه وآرائه التي بثها في كتاب « في الشعر الجاهلي ») انما هو تفسير وتعليل لكفره بحجة العلم ، اذ « يريد أن يثبت فيه أنه من الممكن أن يكون مثله كائنا اشد الكفر على اعتبار أنه عالم يبحث بعقله ، ثم لا يمنع ذلك أن يكون مؤمنا اقوى الايمان في شعوره » (٥٤) ، كما يرى ان تسمية الشعور شخصية والعقل شخصية

(٥٣) انظر تحت راية القرآن/ص ٢٤٩ — ٣٥٠ .

(٥٤) المرجع السابق/ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

أخرى معناه أن النسيان هو أيضا شخصية والذكر شخصية ، والإنسان عدة شخصيات ، وأنه حين ينتقل من حالة الى أخرى إنما ينتقل من شخصية الى غيرها ويصبح رجلا غير الذي كان ، بل يصبح كأن روحا تقمصته (٥٥) . . . وكذلك يرى أنه لابد من التوفيق بين الدين والعلم فيما يختلفان عليه ، والا كان أحدهما لغوا وعيبا (ص ٣٥٤) ، وهو ما قلناه من قبل . لقد كان على طه حسين ، بدلا من اللف والدوران ، أن يحدد موقفه من الدين . وهو ما فعله في نفس المقالة التي نحن بصدددها ، اذ قال : « ان العالم ينظر الى الدين كما ينظر الى اللغة ، وكما ينظر الى الفقه ، وكما ينظر الى اللباس ، من حيث أن هذه الأشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتقع الجماعة في تطورها . واذن فالدين في نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحي ، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، وان رأى دوركيم أن الجماعة تعبد نفسها ، او بعبارة أدق أنها تؤله نفسها » (٥٦) .

بهذا يكون موقف طه حسين واضحا ، فهو لا يؤمن بالاسلام ، ان آمن به ، على أنه دين سماوى أوحاه الله الى نبيه محمد ، بل على أنه اختراع بشرى . واذن الرافعى لم يكن متجنبا عليه قيد شعره حين رماه بالكفر والالحاد . (وأحب أن أبادر هنا الى القول اننى لا أريد بهذا أن أسب طه حسين ، بل انى فقط أبحث الامر بحثا علميا) . واذن أيضا فان طه حسين حين أعلن من قبل في الخطاب الذى أرسله ، على اثر الهجوم عليه بسبب كتابه ، الى مدير الجامعة أحمد لطفى السيد (٥٧) أنه مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لم يكن يعنى ما يقول (٥٨) ، فان الانسان لا يمكنه أبدا أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

(٥٥) المرجع السابق/ص ٣٥١ .

(٥٦) المرجع السابق/ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .

(٥٧) لفت نظرى أن أسلوب هذا الخطاب يختلف عن أسلوب طه حسين

كما نعرفه ، فهل كتبه له لطفى السيد مثلا ؟ انه به أشبه .

(٥٨) انظر تحت راية القرآن/ص ١٦٥ .

واليوم الآخر وهو في ذات الوقت لا يؤمن بوحى ولا بآله ، مادامت الجماعة إنما تؤله نفسها وتعبد ذاتها في الحقيقة ، وما دام الدين لم ينزل من السماء وإنما نبع من الأرض اختراعا بشريا(٥٩) .

أما قوله أنه لم يعتمد في كتابه الخروج على الدين فهو خداع لا يجوز على العقول ، لأنه إذا لم يكن وصف بعض قصص القرآن بأنها أساطير مخترعة لغايات سياسية والقول بأن المسلمين هم الذين ردوا الإسلام في خلاصته إلى دين إبراهيم وغير ذلك مما سبق أن أوردناه هو الخروج على الدين فإنه لا يوجد أذن شيء اسمه الخروج على الدين .

أما تأكيد طه حسين في الخطاب الذي أرسله إلى مدير الجامعة بأن دروسه في الجامعة خلت خلوا تماما من التعرض للديانات ، « لأنى أعرف أن الجامعة لم تنشأ لمثل هذا » ، فأننا قد سبق أن قلنا أننا ليس تحت أيدينا

(٥٩) الغريب أن الأستاذ سامى الكيالى ، الذى رمى من اتهموا طه حسين بسبب ما ورد في كتابه « فى الشعر الجاهلى » في دينه بالرجعية والجمود هو نفسه الذى طبع ونشر لاسماعيل أدهم بحثا بعنوان « طه حسين — دراسة وتحليل » (ط . مجلة الحديث/حلب/١٩٣٨) . وفى هذا البحث يمدح أدهم طه حسين واصفا إياه بالالحد والثورة على الدين ، ويشير إلى أنه هذا فى الدين . والغريب كذلك أن هذا البحث قد نشر أيضا فى عدد من مجلة « الحديث » التى كان يملكها سامى الكيالى ، وكان ذلك فى نفس العام (عدد نيسان = إبريل) ، ولكن حذفت منه العبارات التى تتحدث عن الحد طه حسين وثورته على الدين ونظرته إليه كنتاج بشرى ، ووضع مكانها نقط . أن هذا يبين حقيقة موقف ذلك الصحفى السورى وأنا ينبغى ألا يخدعنا كلامه ، والا فكيف يكون وصف طه حسين بالالحد من جانب اسماعيل أدهم جيلا ووصفه بذلك من شيوخ الأزهر وعلماء مصر رجعية وتزمتا ؟ كذلك من اللافت للنظر أن الكيالى لم يورد ما قاله طه حسين فى حق القرآن الا جملة واحدة ، وباليته أوردها كما هى ، فقد حارفها بما أذهب شناعتها، وقال أنه قالها على سبيل الاستطراد . فتأمل مدى الأمانة العلمية ! انظر كتابه « مع طه حسين » ج/٢١ ص ٥٦ وما بعدها .

ما يثبت أو ينفي ذلك . ولكن السؤال الذى يلح على الذهن هو أنه اذا كان لم يتعرض للأديان في محاضراته والكتاب مملوء بالتعرض للأديان ، والاسلام بالذات ، فما الذى كان يقوله في محاضراته ؟ على أن الدكتور طه حسين عاد فأدلى لصحيفة « الأنفورماسيون » بالآتى : « قيل لهؤلاء البسطاء : انى اطعن في الاسلام ، فشهبوا الحرب على جميعا . على أنى أقول عاليا انه ليس في كتابى كلمة يمكن أن تؤول ضد الدين . والعبارة الوحيدة التى يمكن أن انتقد من أجلها تضع النصوص المقدسة بعيدة عن قسوة المباحث التاريخية » (١٠) . وهو كلام لا ظل له من الحقيقة كما بينا . وقد دفعت هذه المخادعة الأستاذ الرافعى لتكذيبه ووصفه بعدم الحياء والعناد والمكابرة والكذب والسخرية بعقل الأمة (١١) .

(٦٠) تحت راية القرآن/ص ٢٤٢ .

(٦١) المرجع السابق/ص ٢٤٣ .

اتهام الرافعى لطف حسين فى عقيدته

وبعد أن فرغنا من مناقشة ما قاله الرافعى فى آراء طه حسين ننقل إلى تحليل ما قاله فيه هو نفسه . وقد ذكرنا أنه سماه « المبشر » ، وكناه « أبا مرجريت » و « أبا البرت » ، وقال أن سلطان زوجته عليه شديد . والحقيقة أن هذه الاتهامات ، برغم عدم تفصيل الرافعى القول فيها ، تشير من بعيد إلى ما ذكره كاتب (سكرتير) طه حسين بعد ذلك بعشرات السنين ، وهو فريد شحاتة النصرانى (أقول : « النصرانى حتى لا يتهم مثلما اتهم الرافعى وغيره بالرجعية والجهود) ، إذ كتب أن طه حسين قد تعمد لاعتراف النصرانية فى شبابه عند زواجه من زوجته الفرنسية وكان ذلك فى كنيسة إحدى القرى الفرنسية (٦٢) .

والحقيقة أننا جريا على المنهج الصارم الذى نتبعه فى كتاباتنا لا نستطيع أن نجزم جزما قاطعا بأن هذا قد حدث ، فانه ليس بين أيدينا وثيقة مقطوع بمحتها تشهد على ما قاله كاتب طه حسين ، الذى عاشه فى بيته وخارج بيته عشرات السنين واطلع منه على ما لم يطلع عليه سواه ، وإن كان هذا لا يمنع أن تظهر مثل هذه الوثيقة يوما أن صحت رواية الرجل . كذلك ما نريد شحاتة بالطبع لم يكن حاضرا طقوس التعميد الذى يشير إليه ، فلم يكن فريد قد عرف الدكتور طه حسين بعد آنذاك ، وإن كان الحق يقتضى أن أذكر أن فريد هذا كان لصيقا بقلب الدكتور طه حسين قبل أن يتركه ، كما كان موضع أسرارهِ الخطيرة لعشرات من السنين (ويمكن الرجوع فى ذلك إلى الحوار الذى أجراه محمد شلبى معه حول الدكتور طه حسين فى كتابه « مع

(٦٢) انظر مقال أحمد حسين « العودة لطف حسين مفخرة مصر » / الثقافة/ العدد ٧٤/ نوفمبر ١٩٧٩/ ص ٤ ، وكذلك مقاله بعنوان « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طه حسين فى تاريخ مصر » / الثقافة/ العدد ٧٧/ فبراير ١٩٨٠/ ص ٨ - ٩

رواد الفكر والفن « وبخاصة ص/ ١٣٢) ومع ذلك فهناك عدة ملاحظات لها دلالتها : فزوجة طه حسين ، على رغم أنها لم تترك شيئا في حياة طه حسين الا ذكرته في كتابها الذى وضعته بعد وفاته عن حياتها معه ، ورغم حرصها على أن تدافع عنه هجوم من هاجموه ، حتى في الأمور التى لا تحسنها كقضية الشعر الجاهلى مثلا ، لم تفتح فيها بكلمة واحدة تدفع به عنه هذا الاتهام ، مع انها هى الوحيدة المتبقية (فيما اظن) ممن كانوا حاضرين هذا التعميد المشار اليه ، بل هى السبب فيه (ان كان قد حدث) ، باعتبار ان هذا كان شرطا لزواجه منها ، فما معنى عدم نفيها هذا لما قاله واحد من اقرب المقربين الى زوجها واليها ؟ ترى لو كان هذا اتهامها باطلا اكانت ستسكت عليه مهما كان تدينها وحبها لنصرانيتها ورغبتها في أن تتكرر لدينها من الاتباع والمتحولين اليه من الديانات الأخرى ؟ ولكن لم لم تحاول أن تنفى هذه الدعوى بالباطل ، لو صح انها حقيقة ؟ أيكن ان نقول انها خافت أن تكذبها سجلات تلك الكنيسة التى قال فريد شحاتة ان عميد الادب العربى قد تم تعميده فيها حينما يعن يوما لأحد الباحثين المهتمين بهذا الموضوع أن يطلع عليها او ترى الدوائر المعنية في فرنسا أن تخرج هذه الوثيقة ، ان كان لها وجود ، وتذيعها على الناس عندما تقدر أنه قد حان الأوان لكشفها من أجل هذا الغرض او ذاك ؟ تلك اسئلة لا يستطيع الباحث في الظروف الحالية ان يجيب عليها اجابة علمية قاطعة تشفى الغليل ، ولا يملك الا أن يقول : فلنتنظر !

على أن الباحث مع ذلك لا يمكنه أن يمر مرور الكرام على الحقائق التالية : أن زوجة طه حسين لم تكن تحبه حين قبلته زوجا . وليس هذا تخميننا منا ، فقد ذكرت هى هذا ذكرا صريحا في أكثر من موضع في كتابها (١٣) ، كما ذكر د. طه حسين قبلها ذلك بنفسه (١٤) ، وأن الذى حثها

(٦٣) انظر سوزان طه حسين/معك/ص ١٠ ، ١٦ .

(٦٤) الأيام ج/٣ ص ١٠٨ وما بعدها و ١١٨ ، وانظر أيضا مقال

أحمد حسين « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طه حسين في تاريخ مصر » / في « الثقافة » / عدد فبراير ١٩٨٠/ص ٩ - ١٠ ، وسامى الكيالى / مع طه

حسين ج/١ ص/ ٢٩ .

على الأقل شجعها على الزواج منه هو عمها القسيس الكاثوليكي (٦٥) الذى كان طه حسين يقول عنه دائما انه أحب رجل الى نفسه ، والذى كان يرى فيه مثله الأعلى ودليله فى الحياة) (٦٦) ومتى ؟ فى الربع الأول من هذا القرن حين كان المد الاستعماري لبلاد المسلمين ولمصر فى أوجه ، ونظرة الأوربيين لنا على اننا شعوب من الهمج على أشدها ، وكراهيتهم لنا بوصفنا مسلمين فى قمتها . اليس غريبا أن يجهد قسيس كاثوليكي فرنسي فى العقد الثانى من هذا القرن جهده فى اتمام زواج ابنة أخيه من شاب مسلم (يعنى « كافر » من وجهة نظره) ، وترضى ابنة الأخ بهذا الشاب الذى لم يكن يتمتع بما تصبو اليه الفتيات عادة من غنى أو منزلة اجتماعية عالية أو وسامة أو اناقة ، ودعنا من أنه كان كفيفا وكانت فرنسيته بالطبع فى ذلك الوقت مكسرة بحيث كان من الصعب عليه ، حتى لو كان من أمهر الغزلين ، أن يستميل قلبها بالكلام الخيالى المنمق . كذلك فمن المهم أن نلاحظ أنها هى نفسها كانت ولا تزال شديدة التمسك بنصرانيتها ، أى أن افتراض لامبالاتها بكونها نصرانية وكونه مسلما (أى « كافرا » من وجهة نظرها) هو افتراض غير مقبول . وثمة أمر آخر أرى أن له مغزاه : فقد ذكر طه حسين أنه حينما أتاه خطاب سوزان من قريتها فى الجنوب الفرنسى (هذا الخطاب الذى كان علامة بينها على أنها رجعت عن رأيها فى عدم امكانها الزواج منه لأنها لا تحبه) سافر وحده الى هناك ، ولم يستمع لزملائه المصريين الذين صدوه عن الذهاب اشفاقا عليه (٦٧) . يعنى أنه حين أعلنت خطبته على سوزان ، بل أثناء أشهر ذلك الصيف كله ، كان طه حسين وحده بين تلك الأسرة الفرنسية الكاثوليكية وفيها ذلك العم القسيس الذى عضد هذا الزواج (بل أغلب الظن أنه كان وراء تغيير ابنة أخيه موقفها فى مدى

(٦٥). انظر « معك » / ص ١٧ ، وسامى الكيالى / مع طه حسين ج/١.
ص/٢٩ (نقلا عن روبير لاندري الكاتب الفرنسى) .
(٦٦) معك / ص ١٧ .
(٦٧). الأيام / ج ٣ / ص ١١٢ .

شهر !) . ويحاول زملاؤه ان يصدوه مشفقين عليه ، ولكنه يصر على موقفه . وقد كان له ما اراد ، فلم يحضر معه مصرى ولا مسلم هذه الخطبة . ليس لهذه الوقائع دلالتها الخطيرة ؟ وتشير زوجة طه حسين الى ان عمها القسيس ، الذى كان متحمسا لزواجها به على رغم نفورها منه ، قد اصطحب طه حسين ، حين زارهم فى قريتهم فى الجنوب الفرنسى ، ساعتين تجولا اثناءهما فى الحقول وحدهما . بيد أنها لم تذكر لنا فيم تحدثا ، ولا ما الذى اخذه عليه العم القسيس من عهود قبل ان يعطيه ابنة اخيه . من هنا فاننا من الوجهة التاريخية الموثقة نجد انفسنا كلما اقتربنا من هذه المسألة نصطدم بالصمت . فأى نوع من الصمت هذا ؟ حتى الصحفى سامح كريم ، الذى ينقل ما كتبه الآخرون عن طه حسين ، عندما أتى الى هذه النقطة أخذ يحوم حولها من غير أن يسميها ، مكتفيا بالحديث عن فريد شحاتة ومذكراته عن عمله مع طه حسين وغيظ هذا منه ووصفه اياه بـ « هذا الشيء الذى أسميه فريد شحاتة » ، كل ذلك من غير أن يعرف القارئ الخالى الذهن علام يدور الكلام . وهو ما يجافى أمانة النقل (٦٧) .

كذلك نأمن من الملاحظات الدالة المتصلة بتكنية الرافعى للدكتور طه حسين « أبا مرجريت » و « وأبا البرت » أننى لا أذكر انى قرأت فى كتاب «مك» للسيدة سوزان ما يشير قط الى أنه كان يوجه اولاده توجيها اسلاميا . ولا اظن أن من السهل الجواب على ذلك بأنها كنصرانية لا يهمها أن تشير الى ذلك ، فان هذه الملاحظة تصدق ايضا على كتاب « الايام » ، الذى كتبه هو وأفاض القول فيه عن كل شيء يتعلق به وبحياته .

ولعله يكون من المناسب هنا ان نشير الى ان والددة طه حسين ، عندما أخذ طه زوجته الى كوم أمبو ، بعد عودته من فرنسا ، للتعرف على أسرته هناك ، قد سألته أى نوع من النبذ يجب شراؤه من اجلها (٦٩) ؟ فاذا كان

(٦٨) انظر فى رحلة الحقول هذه «مك» ص/١٧، وبالنسبة لصمت سامح كريم عن الاتهام المذكور انظر « ماذا يبقى من طه حسين » /ص ١٢٤ - ١٢٥ .
(٦٩) مك/ص ٣١ .

هذا هو موقف والدته من أم الكبائر وهي سيدة صعيدية عجوز غير متعلمة وفوق ذلك طبعا مسلمة ، ومتى ؟ في الربع الأول من القرن العشرين ، وكل ذلك من أجل خاطر العروس الوافدة (لاحظ أن كل ظروف والدته الدكتور طه حسين كان من شأنها أن تدفعها إلى الفرز الشديد من مجرد تصور دخول الخمر بيتها) ألا يساعدنا هذا في تخيل موقف طه حسين من أمر ذلك الزواج كله والضريبة التي كان عليه أن يدفعها في مقابلته وهو الذي كان مدلهما أشد التذلل بهذا الزواج ، وفوق ذلك كان معجبا أشد الإعجاب بالحضارة الأوروبية واتصل بها في بلادها اتصالا حميما ؟

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فإن المعروف أن طه حسين كان يختار سكرتيه من النصارى ، فهل ينبغى أن نمر بهذه الحقيقة أيضا دون أن نلفت إلى مغزاها ؟ لقد اشتغل توفيق شحاتة كاتبنا وقارئنا له ، ثم خلفه أخوه فريد ، إلى ذكر أن طه حسين قد تنصر قبل زواجه من سوزان زوجته ، التي لم تكن تحبه وكانت ترفض بفظاظة أن تسمع منه كلمة « الحب » أو أن يتحدث معها مجرد حديث في موضوع الزواج أن أراد لزمالتهما وصدأ لقتلتهما أن تستمر ، والتي غيرت رأيها فجأة بعد أن بصرها عمها بمزايا الزواج من هذا الشاب الذي اطراه لها مؤكدا أنه سيتجاوزها باستمرار (٧٠) . وإن الباحث ليتساءل : يتجاوزها في ماذا ؟ وهناك غير الأخوين شحاتة سكرتيان أخراج على شاكلتهم ، وهما البيربرزان (أول سكرتيه) وسليم بشاره (آخرهم ، فيما أعرف) ، وإن كان هناك دكتور ازهرى قدر له أن يشتغل مع طه حسين فترة من الوقت فلنت انتباهه أن أسلوب حياته يجرى على غير المعبود في البيوت المسلمة (٧١) .

(٧٠) انظر في هذه النقطة الأخيرة سامى الكيالى/مع طه حسين ج/١ ص ٢٨ — ٢٩ ، و « معك » لسوزان طه حسين/ص ١٧ .

(٧١) ذكر هذا د. زكريا البرى في مقالة له بعنوان « الشيخ والاستاذ والدكتور والامام » /جريدة « النور » العدد/ ١١/٢٤٠/ ١١ صفر ١٤٠٧ هـ (١٥) أكتوبر ١٩٨٦ .

والآن بعد أن رأينا هذه المسألة من كل جوانبها المتاحة فإننا نتساءل : هل نما الى الرافعى فى ذلك الوقت المبكر ما قاله فريد شحاتة بعد ذلك ؟ ولكن لماذا لم يذكر ذلك صراحة وهو الذى لم يكن يبالى ؟ بيد أن الملاحظ أنه لم يجمع فى تسميته بـ « المبشر طه حسين » وتكنيته « أبا مرجريت » و « أبا البرت » ، فهل بلغه ذلك الأمر أو شىء منه ولكنه ، لسبب أو لآخر ، لم يذكره ؟ ان كان الجواب بالاثبات فمن ذا الذى بلغه يا ترى ؟ ان د. نجيب البهيتى يتحدث فى مقدمة كتاب له صدر حديثا (المدخل الى دراسة التاريخ والادب العربيين ؟) عن اسرار اخرى تتعلق بأسرة سوزان وعملها فى باريس ... الخ ، وهى اسرار ان كانت جديدة علينا نحن الآن فلا شك أن مبعوثى مصر فى باريس فى ذلك الوقت كانوا يعرفونها ، فهل نقل الى الرافعى سر تعيد طه حسين ، هذا السر الذى لا نستطيع من الوجهة التاريخية الموثقة ان نجمع به ، واحد من هؤلاء المبعوثين ؟ الجواب طبعا : لا نعرف .

ومما قاله الرافعى رحمه الله فى د. طه حسين اتهامه اياه كما رأينا بأنه أداة أوربية استعمارية . ويتصل بهذا انه ينقل ، فى كتابه « تحت راية القرآن » ، ما كتبه مجلة « الفتح » بعد شهرين من نشره مقالته « عصبية طه على الاسلام » ، وهى احدى مقالاته التى انتقد فيها كتاب « فى الشعر الجاهلى » ومؤلفه . ونص ما قالته « الفتح » هو : « ليقل لنا طه حسين كم يتقاضى من رجال التبشير ، أو بعبارة أدق : من رجال الدول المغربية من أجر على دعايته تلك لهم وعمله لصالحهم وجهاده من أجلهم هذا الجهاد الطويل العنيف الذى لا يرهب فيه أمة بأسرها . ان ذلك الأجر لابد أن يكون عظيما جداً كما يتحدث به الناس فى انديتهم » (٧٢) ، كما سمى فرنسا وطن طه حسين الجديد (٧٣) . والواقع أن الباحث الذى يريد أن يحقق هذه المسألة يجد نفسه أمام عدة حقائق لا يستطيع ، اذا كان باحثا أميناً ، أن

(٧٢) تحت راية القرآن/ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٧٣) المرجع السابق/ص ٣٧٠ .

ميفلها . وهذه الحقائق ، وكلها مستمدة مما كتبه زوجة طه حسين وطه حسين نفسه ، هي : علاقة طه حسين الحبيبة الى حد مذهب بالاساتذة الأجانب في الجامعة ، حتى انهم كانوا يجتمعون في بيته كل اسبوع مرة ، وذلك يوم الأحد (لاحظ !) . ومن هؤلاء الاساتذة الأجانب جريجوار وامين برهيه وجريوروسكايف ولالاند وسانيك (٧٤) . كما انه هو الذي استقدم كازانوف للتدريس في الجامعة ، مع أن طه حسين كان لا يزال في أول درجاته الجامعية حينذاك ، فمن أين له هذا الثقل الوظيفي والاداري في الجامعة ؟ ومن الذي كان يقف وراءه ؟ ان هذا الأستاذ كان هو المشرف على رسالة طه حسين في باريس ، وعندما أتى الى القاهرة كان طه حسين يزوره في كل يوم (٧٥) . ومن لا يعرف هذا المستشرق نحيله فقط الى كتابه « محمد وانتهاء العالم في عقيدة الاسلام الأصلية » ليعرف آراءه السوداء في الاسلام ونبيه ، الذي يتهمه بتلفيق القرآن ويتهم أصحابه بالعبث بنصه . عندما اتضح أن ما قاله الرسول عليه السلام عن قرب قيام الساعة كان محض هراء ، فكان لابد ، في زعمه ، من زيادة بعض النصوص التي تمحو أثر هذه النبوءة الكاذبة . وقد حزن طه حسين لوفاته حزنا شديدا « (٧٦) . وأشار الى ذلك المرحوم الرافعي بقوله انه حين هلك كان طه حسين هو « نادبته » في مصر (٧٧) . أما مرجليوث فان طه حسين عندما ذهب الى اكسفورد لحضور مؤتمر المستشرقين هناك (سنة ١٩٢٨) قد نزل هو وأسرته ضيفا عليه ، وقامت زوجته برعاية طفله المريض (٧٨) . لقد عاش كاتب هذه السطور عدة سنين في اكسفورد ، التي كان طالبا في جامعتها يدرس للحصول على درجة

(٧٤) انظر « معك » ص ٧٤ - ٧٥ .

(٧٥) السابق/ص ٧٦ ، وانظر الايام/ ج ٣/ص ١٢١ ، وكذلك كتاب

سامح كريم/ص ٧٦ .

(٧٧) تحت راية القرآن/ص ٢٧٥ ، كما وصفه بحق بأنه « كذبنونا » /

ص ٢٩٤ .

(٧٨) معك/ص ٩١ .

(م ٣ - معركة الشعر الجاهلي)

الدكتوره ، ويعرف جيدا كراهية الأساتذة في هذه الجامعة ذات الأصل الدينى لكل ما هو مسلم واسلامى . ومرجليوث هذا بالذات من أشد المستشرقين بغضا للاسلام وكتابه ونبيه . انه من هذه الناحية يأتى هو ولا مانس في المقدمة . ومن يرغب في ان يأخذ فكرة عن هذه البغض القتال فليرجع فقط الى كتابه « محمد وظهور الاسلام » ، الذى يأخذ فيه جانب وثنى مكة في كل موقف حتى في تعذيبهم للمسلمين ، ويأخذ دائما جانب اليهود ، الذين تأمروا على قتل نبينا وأرادوا أن يدمروا الاسلام تدميرا نهائيا ، والذين حمل عليهم مرجليوث حملة شعواء لانهم لم يحكموا أمرهم جيدا ويتعاونوا على رسولنا ويتخلصوا منه بدلا من تخلصه هو منهم . لقد وصف هذا الرجل الوقح نبينا عليه افضل الصلاة والسلام بأنه « شيخ منسر - a robber chief » (٧٩) ، وكان يرى أنه ينبغي ألا نعير أقواله عليه السلام كبير ثقة (٨٠) . كما قال عن أبى عامر الراهب ، هذا العميل البيزنطى الحاقد على رسوله الله ﷺ وعلى نجاح دينه والذى بنى له المنافقون مسجدا في أحد اطراف المدينة بعيدا عن عيون المسلمين المخلصين ليلتقوا به فيه لحبك المؤامرات ضد الاسلام ونبيه وأتباعه (٨١) ، انه كان عنده قبل هجرة الرسول الى يثرب ميل الى الاصلاح الدينى ، بيد أن القليل الذى خبره من محمد بعد هجرته الى هذه المدينة قد أقنعه بأفضلية الوثنية (٨٢) . وغير ذلك مما يعج به الكتاب من أقوال شنيعة لا تحترم حقائق التاريخ ولا تلقى وزنا للقيم الانسانية النبيلة التى أرساها محمد عليه الصلاة والسلام وكان أحسن من استمسك بها .

ومن كانت له علاقة حميمة بالدكتور طه حسين المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، الذى كان يبدى اهتماما شديدا به في أزماته التى كان

(٧٩) ص ٢٣٨ Mohammed and the rise of Islam وهذا الكتاب

يتضمن بذرة رأى مرجليوث في الشعر الجاهلى ، وذلك في ص ٦٠ ، مما سنعود اليه بعد ذلك .

يثرها، والذي عرض عليه ذات مرة وظيفة في الولايات المتحدة الأمريكية (٨٣) ، وكان شديد الاحتفاء بابنه مؤنس أثناء دراسته بباريس ، اذ كان يأخذه بعد خروجهما من محاضراته التي كان يحضرها مؤنس ، فيمشيان معا ، ويستعلم منه « باهتمام ودى عن كل ما يقوم به طه من عمل أو يخطط للقيام به » (٨٤) . وماسينيون هذا من أعمدة الاستعمار الفرنسى فى الشرق الإسلامى العربى . وقد تحدث عن دوره هذا الصحفى اللبنانى (النصرانى) اسكندر الرياشى فى كتابه « رؤساء لبنان » ، فليراجعه من يشاء . وانا لنتساءل : ما سر هذا الاهتمام الزائد من جانب ماسينيون الاستعمارى وأمثاله بطه حسين ؟ لعل ما يلقي بصيصا من الضوء على جواب هذا السؤال أن طه حسين كان يشغل أثناء الحرب العالمية الثانية مراقبا لاذاعة فرنسا الحرة التى كانت تبث برامجها من دار الاذاعة المصرية . كما أنه قد استقبل الجنرال ديغول حين مجيئه الى القاهرة فى ابريل ١٩٤١ (٨٥) .

وعن صداقته الحميمة لبلاشير يمكنك أن ترجع الى ما كتبه السيدة زوجته (٨٦) . وبلاشير هذا هو الذى عبث بآيات القرآن تقطيعا وتقديما وتأخيرا ، وبلغت به الجرأة أن خطأ القرآن نحويا واسلوبيا مرات كثيرة ، وتعتمد تشويه كتابنا المقدس بتفسيرات لا يمكن أن تخطر الا فى خيال مريض يهذى ، كقوله مثلا (مع كابتانى وشبرنجر) أن « جنبية الماوى » هى فيلا بضواحي مكة وان سدرة المنتهى « شجرة هناك » .

(٨٠) السابق/ص ٢٦٣ .

(٨١) انظر فى سيرة هذا الرجل ورفض ابنه له كتابنا « مصدر القرآن — دراسة فى الاعجاز النفسى »/ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٨٢) انظر كتاب مرجليوث السالف الذكر/ص ٢٩٠ — ٢٩١ .

(٨٣) معك/ص ١٠١ .

(٨٤) معك/ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٨٥) السابق/ص ١٣٩ .

(٨٦) السابق/ص ٢٥٦ .

ومن اهتمام المستشرقين والدوائر العلمية الأوروبية بطه حسين أن نلینو مثلاً في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بايطالية اثناء الحكم الفاشي قد تنازل له عن رئاسة القسم الذي كان يرأسه ، وهو ، كما تقول زوجة طه حسين ، مالم يحدث قط(٨٨) ، وإن الدكتوراهات الفخرية قد أغدقت عليه اغداقاً من الجامعات الأوروبية على اختلافها(٨٩) . ان الصحفي السوري ساسي الكيالي المعجب بطه حسين وباتجاهه الدائم الى قبة أوربا اعجاباً أسمى يشير بفخر الى هذا الاهتمام الزائد من جانب الجامعات الأوروبية بطه حسين(٩٠) ، مع أن هذا الاهتمام هو دليل على أن الرافعي لم يكن يلقي الكلام على عواهنه حينما وصفه بأنه أداة أوربية ، والا فما هذا الاحتفاء الغريب المريب بطه حسين من دون المفكرين والأدباء العرب الذين كانوا معاصرين له ؟ أعقمت بلاد المسلمين والعرب ومصر فلم تلد الا طه حسين ؟ ان هؤلاء المحتفين بطه حسين هم أنفسهم الذين ييفضوننا وييفضون ديننا ولغتنا ، وهم الذين استعمرونا وذاقونا كأس المذلة مترعة ونهبوا بلادنا وقتلوا آباءنا ، واقتطعوا من جسدنا وروحنا فلسطين واعطوها لليهود ،

(٨٧) نظر Le Coran ترجمة بلاشير/ص ٥٦٠ — ٥٦١ هـ/١٥١٤ . وانظر في هذا الموضوع دراستنا المفصلة عن ترجمته للقرآن الى الفرنسية ، وذلك في كتابنا « المستشرقون والقرآن » / ص ٧١ — ١١٧ . ومن المضحك ، بالمناسبة ، أن يبلغ التحمس أحد القسس المصريين ، وهو كمال ثابت قلته (في رسالته للماجستير عن طه حسين) ، أن يهاجم ، وهو رجل الدين النصراني ، شيوخ الأزهر ويتهممهم بالرجعية واصماً اياهم بأنهم لم يفهموا الاسلام كما فهمه طه حسين . الحمد لله الذي جعل هذه القس يفهم الاسلام ويقوم بدور القاضي بين مشايخ الأزهر وطه حسين ، ويصدر هذا الحكم المذهب العادل . انظر كتابه « طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية في أدبه » ص/٩٠ — ٩٢ . (٨٨) معك/١٢٣ .

(٨٩) انظر مثلاً ص ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٥١ من كتاب « معك » للسيدة زوجته .

(٩٠) مع طه حسين/ج ١/ص ١٢٣ — ١٢٤ .

الذين ساعدتهم طه حسين على النجاة بجلدهم عند اقتراب الالمان من العلمين ، وهم الذين يعطون اسرائيل الرجال والمال والسلاح ليذبحونا . فهل يمكن ان يحتفى هؤلاء بواحد منا لو راوا انه نافع لامته ؟ ان عندنا والحمد لله عقولا تفكر .

ومن مظاهر اهتمام المستشرقين بطه حسين ان بعضهم ، حينما ابعد عن الجامعة ، قد اعلنوا اسفهم الشديد وهاجموا المسؤولين عن ذلك وعدوا طه حسين من المناضلين من اجل حرية الفكر . واعلن برجستراسه ، وكان ايامها استاذا بالجامعة المصرية ، انه لن يعود الى الجامعة الا اذا عاد اليها طه حسين (٩١) . هذا كله مع ان مئات الاساتذة المسلمين يفصلون ويسجنون ويقتلون في انحاء العالم الاسلامي كله ولم نسمع من احد من هؤلاء المستشرقين ولو كلمة مجاملة من باب ذر الرماد في العيون . واحب الا يفهمنى احد خطأ فيظن اننى مع اضطهاد الفكر ، ولكنى فقط اتساعل عن سر هذا الاهتمام الغريب بطه حسين وامثاله . هذا ، وسوف اعالج قضية حرية الفكر بعد قليل .

فاذا عدنا الى الرافعى واتهامه لطه حسين وجدنا ان من الصعب ان نرى الرافعى بالتجنى وارسال القول على عواهنه . ومن المؤكد ان الرافعى كان يعرف عن طبيعة علاقات طه حسين بالمستشرقين ورجال الدين والسياسة الغربيين (٩٢) الشيء الكثير ، بحكم المعاصرة ، وبحكم اهتمامه بقضايا الادب والتاريخ العربى والاسلامى ، وبحكم اتصاله فى ذلك الوقت بالبيئات الثقافية النشطة واقطاب الفكر والادب والنهضة الاسلامية ، بحكم وجود الاستعمار البريطانى على ارضنا مما يشجع من لهم علاقة بدوائر الغرب

(٩١) انظر معك/ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٩٢) انظر انظر فى بعض هذه العلاقات/ص ١٦٢ ، ١٧٣ — ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٦ .

السياسية والعلمية على عدم الاستتار بهذه العلاقات ، على الأقل . هذا ، ودعنا من رحلته التي قام بها الى فلسطين وزار فيها الجامعة العبرية (سنة ١٩٢٧) (٩٣) ، تلك الجامعة التي بذل طه حسين جهوده (المشكورة) حتى نجح في تذليل الاعتراض الذي أبداه رجال البعثات في مصر على ذهاب طالب اليها (٩٤) . وكذلك دعنا من اشرافه على مجلة « الكاتب المصري » اليهودية ، وتسهيله لاصدقائه من اليهود الخروج من مصر عند اقتراب الالمان من العلمين (٩٥) .

(٩٣) معك/ص ٨٣ .

(٩٤) السابق/ص ١٨٦ .

(٩٥) معك/ص ١٤٠ . ولعل من الطريف أن نشير الى ما ذكرته السيدة سوزان في هذا الكتاب من أن أخت وأم أحد الشبان من الاخوان المسلمين، وكان قد حكم عليه ضمن آخرين مثله بالاعدام لارتكابهم جرائم قتل (!) وذلك في عهد عبد الناصر ، الحنا عليه أن يتدخل لانقاذه . ولكنه لم يفعل بطبيعة الحال ، ربما لأنهم لم يكونوا يهودا . ومع ذلك فهذه القصة غير مقنعة ، إذ لا أظن أن سمعة طه حسين بين الاخوان المسلمين واسرهم كانت تشجعهم على أن يروجوا تحقيق هذا الطلب على يديه ، وهو الذي هاجبهم أشد هجوم في بعض ما كتب . علاوة على اننى لا أعرف أن الاخوان المسلمين قد ارتكبوا جرائم قتل في عهد عبد الناصر (لاحظ التعبير : « جرائم قتل » ، وقد كانت تستطيع أن تسمى ذلك ، بغرض صحته ، « اغتيالات سياسية ») (٩٦) في النهاية فانى لا أعرف لم لم تذكر السيدة الكاتبة اسم هذا الشاب . أغلب الظن أن مثل هذا الشاب وامه وأخته ليس لهم وجود .

حرية الفكر

وبعد ان فرغنا من مناقشة رأى الرافعى فى طه حسين ننتقل الى قضية «حرية الفكر» . وقد سبق ان رأينا الرافعى يعلن انه لا يشاح فى حرية الفكر ولكن المشاحة فى حرية الجهل والكفر . ومن هنا نجده يدعو الى ابعاد طه حسين عن الجامعة وحماية النشر من افكاره (٩٦) ، ويهاجم القانون الخاص بعدم عزل أى استاذ جامعى ، ويرى ان المقصود به طه حسين (٩٧) . وبإحدى ذى بدء أعلن انى مع حرية الفكر ، أى اننى لست من أنصار محاكمة الناس ومعاقتهم على عقائدهم المخالفة لما نؤمن نحن به . فما دمت لا أقبل من أحد ان يتدخل بينى وبين ربى سبحانه وضميرى فيجبرنى على تغيير معتقدى ، فكذلك لا أقبل بل لا أفكر مجرد تفكير ان أقسر أحدا على تغيير ما يعتنقه ، أو أطالب بمعاقبته على ما يؤمن به ، بيد ان هذا شيء والسكوت على ما نعتقد مخلصين انه خطأ شيء آخر ، على ان يكون الرد على الكلام بكلام مثله . ومن ثمة فانى أقدر الجهود العلمية المخلصة التى بذلها هؤلاء العلماء والنقاد الذين ردوا على آراء طه حسين وبينوا ما فيها من تهافت وعوار ، ولا أجد أية غضاضة فى تناولهم لموقفه من الدين وحكمهم عليه الحكم الذى يرتضيه المنطق والمستند الى نص ما قاله الدكتور دون تعسف أو لى للكلم عن مواضعه . ولكنى برغم تقديرى لهذه الجهود وموافقتى على الحكم الذى أصدره هؤلاء الكتاب عليه لا أقر مطالبة البعض بمحاكمته ولا المحاكمة نفسها . ان طه حسين أديب وكاتب ، واذن فينبغى أن يقتصر التصدى له على أمثاله من الكتاب والأدباء . وفكرة تفرع فكرة ، فى جدال طبيعى حر . أما النيابة العامة فما دخلها هنا ؟ (طبعا ، الا اذا ثبت ان هناك تأمرا ، فهذا شيء آخر) . وحتى يكون كلامى واضحا أحب أن أسال من يخالفنى فى

(٩٦) انظر تحت راية القرآن/ص ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٣١٤ .

(٩٧) ص/١١٣ — ١١٤ .

هذا الرأي عن موقفه لو أن الحكومة في دولة غير مسلمة حجرت على كاتب مسلم من رعاياها أن يدعو الى ما يخالف عقيدة الدولة أو نظامها السياسى ، أو عاقبت أحد مواطنيها لخروجه عن دين أمته ودخوله في الاسلام ؟ لقد كان المسلمون في المدينة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يتمتعون بحرية القول الى حد مذهل . ألم يحدثنا القرآن الكريم أن من بين أهل الكتاب طائفة كانت تتواصى باعلان الاسلام في أول النهار والارتداد الى الكفر في آخره (٩٨) ؟ هل سمع أحد أن رسول الرحمة عليه صلوات الله وسلامه قد أكره احداً من هؤلاء على الرجوع الى الاسلام أو عاقبه ؟ والمنافقون ، ألم يكونوا لا يكفون عن نقد الرسول عليه السلام والمسلمين واستعمال كلام جارح في حقهم أحيانا ؟ أو لم ينزل القرآن معلنا أن هؤلاء النفر منهم أو أولئك قد كفروا بالله بعد أن أسلموا (٩٩) ؟ هل قرأ أحد نبي البر قد فكر مجرد تفكير في معاقبتهم ؟ ان الملاحظ أن القرآن في موضعين من المواضع التي تحدث فيها عن بعض من يدخل الاسلام ثم يعود فيكفر به قد بين بأجلى بيان أن الايمان بالله هو فضل منه سبحانه يؤتيه من يشاء (١٠٠) . ومعنى ذلك أن الذي يخرج من الاسلام إنما يحرم نفسه من فضل وخير كثير ، فهل سنكون نحن أرفق به وأحرص على مصيره من نفسه ؟

أقول هذا وإمامي مثلاً : الأول الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة سابقاً ، فقد أعلن في مقدمة كتابه الذي نقض به مطاعن طه حسين في القرآن أنه سيجادله بالمنطق ولن يلجأ الى القول بأن هذا القرآن مقدس لا يليق أن يطعن فيه هذا الطعن (١) . بل انه رأى أن فصل الدكتور طه من الجامعة (يقصد سنة ١٩٣٢ في عهد صدقى ، بسبب ما كان قد قاله في القرآن قبل

(٩٨) آل عمران/ ٧٢ — ٧٤ .

(٩٩) التوبة/ ٤٩ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤ — ٨٥ ، ٩٥ — ٩٧ ،

١٠٨ ، ١١٠ .

(١٠٠) آل عمران/ ٧٢ — ٧٤ ، والمائدة/ ٥٤ .

(١) انظر كتابه «نقض مطاعن في القرآن الكريم» /ص ١٢ .

ذلك (١) قد يفسره الناس على انه عجز من اولى الامر عن ان يهدموا رايه بالحجة فلذلك عمدوا الى القوة ، التى هى فى رايه غير نائفة فى هدم راي أو دحض مذهب (٢) ، وان كنت أخالفه فى تحرجه من ان يصم ما فيه مخالفة للدين وكفر به من تسميته باسمه (٣) مادام الانسان لا يأخذ بالشبهة ولا يحجر واسعا بل يقتصر فى ذلك على ما لا يحتمل تأويلا بحيث لا يمكن ان يعنى الا الكفر . ومع ذلك فان الشيخ لم يتمالك قلمه ان يفلت منه اتهام المطاعن التى وجهت الى القرآن بأنها الحاد يلبس لبوس العلم (٤) . والمثل الثانى هو الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، فقد كان من الذين ردوا على آراء طه حسين العاجزة المتداعية ، ومع ذلك فان له فى الدفاع عن حرية الاعتقاد والتفكير وتوضيح الموقف العظيم للاسلام منها عدة بحوث (٥) بين فيها ان الاكراه لا يؤدى الى شئ وأنه ليس من الاسلام . وهو كلام متزن حكيم . وعندنا الدكتور طه حسين : هل نجحت محاكمته أو حتى فصله من الجامعة بعد ذلك فى أن تغير آراه ؟ لقد أعلن أنه مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسوله وكتبه واليزم الآخر ، ثم وجدناه يعلن بعد ذلك أن الدين هو اختراع بشرى، وأن الجباعة باعتقادها فى الألوهية انما تعبد نفسها ... الخ . كما رايناه ايضا يكتب كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » فيسلخ مصر عن الشرق العربى والاسلامى جملة ويلحقها بأوروبا ، وهكذا . ولعل القارئ لاحظ انى لم اذكر هنا مانسب اليه من آراء عن المكى والمدنى فى القرآن وفواتح السور ذكر بعض من هاجموه انه املاها على الطلبة فى الجامعة سنة ١٩٢٧ ، وهى آراء لا تقل خطرا عما ورد فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » . وسبب اغفالى

(٢) ص/٩ .

(٣) انظر ص/١٢ .

(٤) انظر ص/٤٣ .

(٥) انظر كتبه : « مع زعيم الادب العربى فى القرن العشرين » و « الحرية الدينية فى الاسلام » و « حرية الفكر فى الاسلام » و فصل « الاسلام وحرية البحث » (ص/٦٤ — ٩٠ من كتابه « دراسات اسلامية ») .

لها ان طه حسين قد ذكر انه لم يفعل شيئاً أكثر من عرضه لآراء المستشرقين في هذا الموضوع لا آراءه هو . ولما كانت هذه الآراء غير مثبتة في كتاب من كتبه فقد سكت عنها ، على اعتبار أنه لا يوجد دليل موثق على أنها له ، وان كنت لا أستبعد بل أرجح صدورها منه وبخاصة أن اسماعيل أدهم ، الذي كان معجبا بطه حسين وكتب عنه بحثاً يمدحه فيه قد أسند هذا الكلام اليه ، بناء على ما رجع اليه من المذكرات التي أملاها طه حسين على طلبته (٦) . وفي المقابل نجد الأستاذ العقاد ، وهو الوفدى الوحيد الذى دافع عن طه حسين في البرلمان وخارجه (٧) ، يعود فيرد على نظرية انشك في الشعر الجاهلى رداً مفحماً (٨) . ومع أن أحد لم يحاكمه على آرائه الجريئة في الدين في أول حياته (٩) . فإنه قد أنتج بعد ذلك كتباً عدة في سيرة النبی عليه الصلاة والسلام وعظماء الصحابة ومحاسن الاسلام تخاطب العقل قل أن يوجد لها نظير في قوة البرهان وصلابته ورصانة الأسلوب وحلاوته . ومثله في ذلك الدكتور محمد حسين هيكل ، فقد رجع عن موقفه الأول من الاسلام وأصدر كتاباً في السيرة النبوية من أجل ما كتب عنها ، بالإضافة الى كتبه عن

(٦) انظر في ذلك الشيخ محمد احمد عرفه/نقض مطاعن في القرآن الكريم/ص ٤ — ٨ ، ١٣ — ١٥ ، وطه حسين/حديث المساء/ص ٤ — ٦ ، واسماعيل أدهم/طه حسين — درس وتحليل . وقد اشار الرافعى الى نية طه حسين في درس القرآن من هذه الزاوية قبل أن يفعل طه حسين ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ٣٠٨ .

(٧) انظر في ذلك/نعمات فؤاد/قيم أدبية/ص ١٤٨ ، و « حديث المساء » لطله حسين ص ٨ ، ١٢ ، وسامى الكيالى/مع طه حسين/ج ٢/ص ٨٧ .

(٨) انظر كتابه/مطلع النور او طوابع البعثة المحمدية/ ص ٦١ — ٨٥ .

(٩) انظر في ذلك فتحى رضوان/عصر ورجال/ص ٢٢٩ — ٢٣٠ .

والمهدة عليه ، فانى لا أذكر انى قرأت للعقاد ، على كثرة ما قرأت له ، شيئاً شبيهاً بهذا .

أبى بكر وعمر والحكومة الإسلامية وغيرها . كل ذلك من غير ضغط ولا قسرة . ان الاسلام لن يكسب باكراه أحد خرج منه على العودة اليه ، فالاكراه ان صح مع الجهاد لا يصح في الحب والكره ولا في العقائد والآراء . وهو لا يصنع مسلما بل يزيد المنافقين الذين يعملون على تقويض الاسلام من داخله واحدا . ولخير لنا نحن المسلمين ان نعرف الملحدين والكفرة بأعيانهم من ان ننخدع في اعلانهم الاسلام تقية وخداعا . والاسلام طاهر نظيف ، ولا يقبل الا الطاهرين الانتقاء (١٠) . ذلك ، وقد صودر كتاب « في الشعر الجاهلى » ، فهل اختفت الآراء التى وردت فيه ؟ اليس من الطريف ان كتاب الرافعى رحمه الله وكذلك كتب الفيورين على دينهم الذين نقضوا الآراء الواردة في ذلك الكتاب قد تكفلت ولا تزال بنشر هذه الآراء بنصها كما هى في الكتاب المصادر ؟ اى انك قد تطرد الفكرة من الباب وتلتفت فاذا بها قد عادت من الشباك . أرجو ان يكون القارئ بذلك قد رأى قضية حرية الفكر في وضعها الصحيح .

بيد ان هذاجانب واحد من الأمر ، على حين أن الجانب الثانى هو أن حرية الفكر يجب ان تكون شاملة ينعم بها كل الاطراف لا ان تقتصر على طرف دون الآخر . مثلا ، ما معنى النص في عقد انضمام الجامعة القديمة الى الجامعة التى كانت الحكومة تزعج انشاءها على ان يكون طه حسين استاذًا في هذه الجامعة الجديدة ؟ (كان ذلك في سنة ١٩٢٣) (١١) .

(١٠) انظر كتابى/تفسير سورة المائدة/ص ٩٤ (عند تفسير الآية/٥٤ من هذه السورة) ، وكذلك كتابى/تفسير سورة التوبة (عند تفسير الآيات/٥٨ ، ٦١ ، ٨٠ /ص ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦) .

(١١) انظر أحمد لطفى السيد/قصة حياتى/ص ١٧٥ وكذلك ص ١٧٩ حيث يعال هذا الشرط بأنه راجع لحالة الدكتور طه حسين الشخصية . وهو تحليل متهافت يستتر خلف هذا الاعتبار الانسانى الذى لا ندرى لماذا لم يطبق مع غير طه حسين في كل المصالح الحكومية في انحاء القطر كله . وانظر كذلك د. حسين فوزى النجار / أحمد لطفى السيد استاذ الجيل / ص ٢٧١ ، ٢٧٨ و د. نعمات فؤاد / قمم أدبية / ص ٣٤ .

ولما ضمت الجامعة المصرية الى وزارة المعارف سنة ١٩٢٥ فى عهد حكومة الأحرار الدستوريين (١٢) ، الذين وقف طه حسين قلمه على الدعاية لهم ، انضم معها طه حسين ألياً (١٣) ، مما دلالة ذلك ؟ وما مغزاه ؟ ولم كل هذا التحويط على طه حسين بالذات ؟ لقد لفت هذا الأمر المرحوم مصطفى صادق الرافعى وأثار ارتياحه ، فقال : « كنا والله نرتاب فى أن الجامعة المصرية مدرسة الحاد ، وأن طه حسين ما أخذ لها دون سواء ممن كانوا فى الجامعة

(١٢) وهو امتداد لحزب الأمة ، حزب لطفى السيد ، الذى أنفقَ صدر حياته فى المفاداة باستقلال مصر عن تركيا ، مع أن تبعية مصر لتركيا لم يعد لها آنذاك وجود فى الواقع ، وإنما كانت بلواها هى الاحتلال الانجليزى ، الذى كان لطفى السيد حبيباً لعبيده كرومر . ولطفى السيد هذا الذى كان يجرىض المصريين على عدم مساعدة اخوانهم الليبيين المسلمين ضد العدوان الايطالى ، على حين نظم عقود المديح فى كرومر (الطاغية الانجليزى النصرانى الذى أساء الى الاسلام والمسلمين بأعماله وكتاباتة) وبخاصة عند توديعه عشية ذهابه من مصر فى ستين داهية بجهود الزعيم الوطنى الشاب أنفقى المخلص مصطفى كامل بعد مجزرة دنشواى ، التى أوقعها كرومر هذا بالفلاحين المصريين المستضعفين ، على ما هو معروف . انظر فى كراهية كرومر لنا الفصلين اللذين عقدهما للإسلام والمسلمين فى مصر ، فى كتابه Modern Egypt ج ٢/ص ١٢٣ — ٢٠٠ ، لتري بغضه السام لنا ولديننا وعلماننا . كما أن لطفى السيد هذا هو الذى كان يقف دائماً للدفاع عن طه حسين وآرائه . انظر فى مواقف لطفى السيد هذه دة . حسين فوزى النجار/ أحمد لطفى السيد استاذ الجيل / ص ١٢٥ — ١٤٩ ، ١٨٦ — ١٨٨ ، ١٩١ — ١٩٢ ، وكذلك كتاب أحمد لطفى السيد / قصة حياتى/ ص ٤٩ — ٧٧ وكذلك كلامه عن كرومر والانجليزى فى الجز الاول من كتاب « المنتخبات » ود . محمد محمد حسين/الاتجاهات الوطنية فى الادب العربى المعاصر/ ج ١/ص ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٥ — ٨٦ ، ٨٨ — ٩٠ . ود . محمد حسين هيكلى/مذكرات فى السياسة المصرية/ ج ١/ص ٤٩ — ٥٠ . وانظر نص ما قاله فى توديع كرومر فى « الجريدة » ١٩٠٧/٤/٣٠ .

(١٣) انظر محمد سعيد العريان/حياة الرافعى/ص ١٥٤ .

المقدّيمة الا لهذه العلة فيه لانه اقوم بها واقدر عليها « (١٤) . وكان رايه ان الجامعة حينما فكرت في اصدار قانون بمنع اساتذتها من الفصل فقد كان الهدف من ذلك حماية طه حسين بالذات (١٥) .

ويتصل بهذا ان طه حسين حين اصدر كتابه « في الشعر الجاهلى » قدمه بهذه الكلمات لرئيس الوزارة في ذلك الحين عبد الخالق ثروت :

الى حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا .

سيدى صاحب الدولة .

كنت قبل اليوم اكتب في السياسة ، وكنت اجد في ذكرك والاشادة بفضلك راحة نفس تحب الحق ، ورضا ضمير يجب الوفاء .

وقد انصرفت عن السياسة وفرغت للجامعة ، واذا انا اراك في مجلسها كما كنت اراك من قبل قوى الروح ، ذكى القلب ، بعيد النظر ، موافقا في تأييد المصالح العلمية توفيقك في تأييد المصالح السياسية .

فهل تأذن في ان اقدم اليك هذا الكتاب مع التحية الخالصة والاجلال العظيم .

ان الكتاب كتاب في النقد الادبى ، فما دخل رئيس الوزراء فيه ؟ ومتى كانت كتب النقد الادبى تقدم لرؤساء الحكومات ؟ ولاحظ قوله « سيدى » ! ثم عبارات الغزل الولهى هذه في قوة روح ثروت باشا وذكاء قلبه وبعد نظره (وبالذات بعد نظره) ، وهذه الاشارة الى تأييده للمصالح العلمية ، الا يشم فيها القارئ رائحة معينة ؟ اننا نتساءل : لماذا هذا التجكك والتحكك برئيس الحكومة في مقدمة هذا الكتاب بالذات ؟ اهذا صنيع من يؤمنون حقا بحرية الفكر ام صنيع من يؤمنون بحرية فكرهم هم وحدهم ، ويحتمون بأصحاب السلطان حتى يقفوا بالمرصاد لمن يريدون عليهم ؟ كنت احب ان يدع

(١٤) تحت راية القرآن/ص ١١٢ ، ٢٥٧ .

(١٥) تحت راية القرآن/ص ١١٤/١ هـ .

الدكتور طه كتابه يأخذ مجراه في الهواء الطلق خارج هذه « الصوبة » .
لقد رأى القارئ أدافع عن حرية الفكر ، ولكن حرية الفكر ينبغى ، كما قلت ،
أن تتمتع بها كل الأطراف . أما الاستتار خلف السلطة فانتهاك لهذه الحرية
وخيانة لها . وأنا اذن مع الرافعى فى تأكيده أن الحق لا يبحث عن يحميه بل
يصمد للنقد لأنه قوى بذاته (١٦) ، لكنى لست معه فى الدعوة الى فصل طه
حسين من الجامعة . غير أن الانصاف يقتضينا أن نوضح أن سبب ثورته
العامة هذه هو رؤيته أيديا خفية قوية تسند طه حسين وحده وآراءه .

كذلك فإن حرية الفكر ، لو أن المسؤولين فى الجامعة الذين كانوا
يتشدقون بها فى ذلك الحين كانوا صادقين ، كانت تستلزم أن تمثل التيارات
الفكرية جميعها فى الجامعة بنسبتها الحقيقية . أما أن يستجلب للجامعة
المستشرقون أعداء ديننا ويحرم من التدريس فيها الرافعى مثلا فليس من
الحرية الفكرية فى شيء . ترى هل كان الرافعى عاجزا عن
تدريس الأدب العربى وتاريخه ، وهو الذى وضع كتابا رائدا فى تاريخ
الأدب العربى ، وهو كتاب أكثر من ممتاز بالنسبة للعصر الذى كتب فيه ،
وقد سبق أن رأينا لطفى السيد نفسه بل وطه حسين أيضا يقرظانه بما هو
أهله (١٧) ؟ أم هل الحرية هى قصر التدريس فى الجامعة على من كانوا
يسمون أنفسهم بالمجددين وأساتذتهم المستشرقين ؟ أم الانصاف والاستقلال
الفكرى استخدام كازانوفا و نلينو مثلا وإهمال الرافعى ؟ لماذا لم تعط الفرصة
لمثلئ التيارات الفكرية والأدبية بنسبتهم الصحيحة فى الحياة الثقافية
المصرية مع ترك عوامل التطور تأخذ مجراها الطبيعى عن طريق الاحتكاك
بين هذه التيارات المختلفة فى المحاضرات والكتب والندوات ؟

(١٦) المرجع السابق/ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

(١٧) انظر حياة الرافعى/ص ٦٧ — ٧٠ حيث يذكر رأى بعض مشاهير
العصر وكتابته فى كتاب « تاريخ آداب العرب » للرافعى حين ظهوره والجهود
الذى بذله الرافعى فى تأليف هذا الكتاب الرائد وكيف كان هذا الكتاب سببا
من أسباب تدريس هذه المادة فى الجامعة المصرية .

وهل من حرية الفكر أن يرفض المسؤولون عن الجامعة المناظرة التي دعاها الرافعي رحمه الله الى عقدها بينه وبين طه حسين ؟ ان المؤمنين الحقيقيين بحرية الفكر يحرضون اشد الحرص على احتكاك العقول والآراء حتى يتمحض الحق وتظهر فسولة الباطل . أما رفض مثل هذا الاحتكاك فقد يكون أى شيء آخر غير حرية الفكر والرغبة في الوصول الى الحقيقة (١٨) . ليس ذلك فحسب ، بل أن الرافعي يذكر أن الأستاذ الخضري بك « كان قد أعد محاضرة مسببة في الرد على طه حسين وكتب الى الجامعة يستأذنها في القائها على الطلبة فوسعت له وقالت انها تقدر حرية الفكر وانها تخصصه بأوسع غرفة لمحاضرة الطلبة ، بيد أنها سألته أن يبعث اليها بما كتب . فلما اطلمت عليه رأت أن تستر على نفسها وأغلقت الباب وقالت لأقفالها : دافعي أيتها الأقفال المثينة » (١٩) .

والغريب أن تكون علة التراجع المؤسف هذا هي الادعاء « بأن الكتاب لم يلق على الطلبة حتى يرد عليه في نفس الجامعة » (٢٠) . وأنا لتتساءل : اذن لماذا قبلت المناظرة أولا ؟ في ضوء هذا يمكننا أن نفهم قول الرافعي للطنى السيد انه يخشى من استقلال الجامعة وحرية التفكير (٢١) .

كذلك هل من حرية الفكر أن يضيق طه حسين بمناقشة أحد طلبته له فينهره ويسكته ، ويترك المحاضرة ويخرج ، مع انه هو الذى اذن له بالكلام ؟ ولكن يبدو انه كان يتوقع من الطالب أن يقوم فيثني على آرائه وما كان يسميه « نظريته » في الشعر الجاهلى . ولنترك الأستاذ محمود شاكر يروى لنا القصة

(١٨) انظر في خبر هذه المناظر « تحت راية القرآن » / ص ١١٦ ، ١٢٢ .

(١٩) تحت راية القرآن / ص ٣١٢ .

(٢٠) انظر « تحت راية القرآن » / ص ٣٨٨ . والكلام للأستاذ القياتي

في البرلمان . وانظر في هذا الادعاء أيضا ص ٣٨٥ من نفس الكتاب .

(٢١) تحت راية القرآن / ص ٣١٤ .

بقلمه : قال : « بعد المحاضرة طلبت من الدكتور طه أن يأذن لى فى الحديث ، فأذن لى مبتهجا ، أو هكذا ظننت . وبدأت حديثى عن هذا الأسلوب الذى سماه « منهجا » وعن تطبيقه لهذا « المنهج » فى محاضراته ، وعن هذا « الشك » الذى اصطنعه : ما هو ؟ وكيف هو ؟ وبدأت ادلل على أن الذى يقوله عن « المنهج » وعن « الشك » غامض ، وأنه مخالف لما يقوله ديكرت ، وأن تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليما لم يداخله الشك بروايات فى الكتب هى فى ذاتها محفوفة بالشك ! وفوجئ طلبه تسم اللغة العربية ، وفوجئ الخضيرى خاصة . ولما كنت افرغ من كلامى انتهرنى الدكتور طه واسكتنى ، وقام وقمنا لنخرج » (٢٢) .

اتهام الرافعى لطله حسين بسرقة آراء المستشرقين

هذه حرية الفكر من كل جوانبها ، قلت فيها ما أملاه على ضميرى
بلا ميل الى هذا الطرف أو ذاك . وننتقل الآن الى القضية الثالثة التى أثارها
الرافعى رحمه الله فى مقالاته ، وهى اتهامه طه حسين بأنه سرق آراءه فى
الشعر الجاهلى من المستشرقين . وقد كرر الرافعى ، رحمة الله عليه ، هذا
الاتهام فى أكثر من موضع من مقالاته التى نشرها اثر صدور كتاب « فى الشعر
الجاهلى » عام ١٩٢٦ ، ثم جمعها مع مقالات سابقة فى كتابه « تحت راية
القرآن » .

فى صفحة ١٢٢ (وفى المقالة المعنونة بـ « وشهد شاهد من أهلها »)
يذكر انه قرأ فى جريدة « البلاغ » بتوقيع « فرحات » أن محاضرة استاذ
الجامعة (يقصد طه حسين) فى امرئ القيس مسروقة من دائرة المعارف
الاسلامية المطبوعة فى ألمانيا « وفى ص ١٢٨ — ١٢٩) وذلك فى مقالة
ب عنوان « قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة » (يتهم طه حسين اتهاماً
عاماً بتقليد المستشرقين ، الذين لا يوثق برأيهم ولا يفهمهم فى الآداب
العربية . أما فى ص ١٣٢ (من نفس المقال السابق) فقد عزا ادعاء طه حسين
أن النبى ﷺ نهى عن رواية شعر أمية بن أبى الصلت الى كليمان هوار ،
الفرنسى ، وأن كان قد ذكر أيضاً أن تعليل طه حسين لهذا النهى المزعوم
يختلف عن التعليل الأحق السخيف للمستشرق الفرنسى ، على حد قوله .
وهو يعود فى ص ١٤٦ (من مقالة « استاذ الآداب والقرآن . الى هيئة
كبار العلماء ومجلس ادارة الجامعة ») فيرميه بأنه أخذ ما يفيد كلامه من أن
القرآن الكريم هو كلام النبى ﷺ ومن نظمه وعمله من هذا المستشرق أيضاً
ومن غيره من المستشرقين . وفى ص ١٧٦ (من مقالة بعنوان « موقف حرج
لوزارة المعارف ») يؤكد « أن تقليد بعض المستشرقين هو الذى أفسد طه ،
فقد صحبهم وأخذ عنهم ، ثم نزع الى مذاهبهم وأقاويلهم ، لأنه وإياهم سواء
أو متقاربون فى الركافة وسقم الفهم والوقوع بالبعد البعيد من أسرار الكلام
(م ٤ — معركة الشعر الجاهلى)

العربي ومعانيه » ، وبعد ذلك بصفحة (من نفس المقالة السابقة) يقول انه « قد أخذ فكرة الشك في شعر الجاهلية عن المستشرقين أيضا » . ويمضى قائلا ان صاحب « المتقطف » قد أخبره (في سبتمبر ١٩٢٥) بخبر مقالة مرجليوث « في مجلة الجمعية الآسيوية » التي ينكر فيها صحة الشعر الجاهلي ، وساق له بعض أدلته فلم يجد فيها مقنعا ولا رضا ، وانه لما فثحت الجامعة اذ بالدكتور طه حسين « ينتحل الفكرة ويدعيها ويوب لها أبوابا ويفصل فصولا ويدرس ذلك في الجامعة » (٢٣) . ومع ذلك فقد عاد في ص ٢١٣ (من مقالته المعنونة بـ « قد تبين الرشد من الغي ») فقال ان أحدهم قد نبهه الى ان فكرة طه حسين مأخوذة بكثير من أدلتها من كتاب « الشعر العربي قبل الاسلام » المطبوع ببافيس سنة ١٨٨٠ (٢٤) .

هذا ما تنبهت اليه من اتهامات الرافعي للدكتور طه حسين بأنه سرق افكاره في الشعر الجاهلي من المستشرقين . والملاحظ ان المرحوم الرافعي قد اتهم د. طه أكثر من مرة اتهاما عاما بنقل آراء المستشرقين . وبالنسبة لبعض الأفكار الجزئية تجده قد اتهم مرتين بالنقل عن مستشرق معين هو كليمان

(٢٣) سمي المرحوم الرافعي بأسلوبه التهكمي مرجليوث وطه حسين بـ « الشيخ مرجليوث » و « المستر طه حسين » ، وهي تسمية ذات دلالة على ما يتهم به الرافعي الدكتور طه من انتحال افكار مرجليوث في الشعر الجاهلي . انظر ص ١٧٧ من « تحت راية القرآن » .

(٢٤) صاغ الرافعي ذلك بعبارات تهكمية هذا نصها : « ظننا ان استاذ الجامعة أخذ فكرة الشك في شعر الجاهلية عن المستشرق مرجليوث ، ولكن أحد الفضلاء نبهنا الى انه قبل جحا قد كان أبو دلالة . فان هذه الفكرة من آراء مستشرقى الالمان ، وهي مبسطة بكثير من أدلة طه حسين في كتاب « الشعر العربي قبل الاسلام » المطبوع في باريس سنة ١٨٨٠ ، فيسرها والله ان نباهى الامم كلها بجامعة مصر التي جاءت في تاريخ الدنيا بمعجزة فوق المعجزات ، اذ ظفرت لتدريس الآداب العربية بأستاذ عظيم تسرق آراؤه وتطبع وتنشر في أوربا قبل ان يولد هو في مصر ببضع سنوات » . ص ٢١٣ من « تحت راية القرآن » .

هوار . ذكر ذلك مرة صراحة ، حين اتهمه بسرقة ادعائه في نهى النبي عن رواية شعر أمية بن أبى الصلت ، ومرة أخرى على نحو غير مباشر ، حين أشار الى مقالة « امرئ القيس » في دائرة المعارف الاسلامية . فهذه المقالة كتبها هذا المستشرق نفسه . أما بالنسبة للفكرة الرئيسية في كتاب طه حسين فقد عزاها مرة الى مقالة مرجليوث ، ثم رجع فصعد بها الى كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع ببافيس سنة ١٨٨٠ . ولا شك أن الرافعى قد استمد معرفته بتلك المراجع الاوربية من غيره ، اذ لم يكن الرجل يعرف لغة اوربية معرفة تمكنه من الرجوع اليها بنفسه (الذى اعرفه أنه كان له المام محدود بالفرنسية) . وعلى كل حال فقد كفانا الرجل مؤونة الاستنتاج باعترافيه بنفسه أن هذا الشخص او ذاك هو الذى نبهه الى هذه المعلومة أو غيرها . وهى أمانة علمية وشجاعة خلقية منه ، رحمه الله ، لا بد من التنويه والاشادة بها .

فأما اتهاماته العامة للدكتور طه حسين بأنه اخذ أفكاره عن المستشرقين فلا نتعرض لها ، والا لكان علينا أن نرجع الى كل ما كتبه المستشرقون في هذا الصدد . علاوة على أنه قد ذكر نقاطا محددة واتهم طه حسين بأنه نقلها عن مستشرقين معينين ، وهو ما يعفينا من القيام بهذه المهمة ويجعلنا نركزا بحثنا في هذه الاتهامات المحددة .

ولنبداً بأشارته الى أنه قرأ في جريدة « البلاغ » بتوقيع « فرحات » (٤) أن محاضرة طه حسين في امرئ القيس مسروقة من دائرة المعارف الاسلامية (٢٥) . صحيح أن فرحات هذا لم يحدد المادة التى ذكر أن الدكتور طه قد سرق منها أفكاره عن امرئ القيس ، الا أن الذهن يتجه للتو الى مادة « امرئ القيس » ، وهى المادة التى كتبها كليمان هوار ، كما ذكرت قبلا . كذلك صحيح أن كاتب البلاغ لم يقل أن الفصل المعقود لامرئ القيس في

كتاب « في الشعر الجاهلي » هو المنسوق من دائرة المعارف الإسلامية بل محاضراته عن هذا الشاعر . بيد أننا ليس بين أيدينا محاضرات طه حسين ، ومع ذلك فيمكننا أن نعتد على ما ذكر الرافعي أن طه حسين قاله في محاضراته عن هذا الشاعر الجاهلي وكذلك على ما استشهد به من كتاب الدكتور طه بعد صدوره . وخلاصة ما عارض فيه الرافعي طه حسين هو ادعاؤه أن الغزل المروي لامرئ القيس هو لعمر ابن أبي ربيعة والفردق (٢٦) ، وأن حياة امرئ القيس ليست إلا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن « بن الأشعث » (٢٧) وأن رحلته إلى قيصر غير حقيقية وشعره في ذلك مصنوع (٢٨) . وكذلك حيرته في تحديد تاريخ حياته بين القرن الرابع والقرن الخامس الميلاديين (٢٩) . هذا ما أخذ الرافعي على طه حسين ، وإن لم يتهمه اتهاماً صريحاً (أقصد أن كاتب البلاغ ، الذي نقل كلامه الرافعي بما يفيد موافقته عليه ، لم يتهمه اتهاماً صريحاً) بأنه نقل هذه الأفكار بعينها عن دائرة المعارف الإسلامية بل انصب الاتهام على محاضرة طه حسين عن امرئ القيس بوجه عام .

على كل حال ، فبالرجوع إلى مادة « امرئ القيس » في دائرة المعارف الإسلامية (٣٠) وجدنا أن هوار لم ير ما يدعوه إلى الشك في حقيقة وجود امرئ القيس ، وإن كان يشك في أن الإمبراطور يوستينياس قد خلع عليه حلة مسمومة قتلتها ، بسبب تغريبه بابتته ، كما يشك « في أن أشعاره قد وصلت إلينا في وزنها الأصلي » . ومع ذلك فقد لخص رأي السيرتشارلز ليال ، الذي « بين أن استعمال هذا الشاعر الجاهلي لضرب نادر من بحر البسيط

(٢٦) انظر ص ١١٤ ، ٢٩١ — ٢٩٣ من « راية القرآن » .

(٢٧) السابق/ص ٢٧٩ .

(٢٨) السابق/ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

(٢٩) السابق/ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .

(٣٠) الترجمة العربية/ط دار الشعب/مجلد ٤/ص ٤٠٦ ، وكاتبها كما

قلت هو كليمان هوار .

واتفاقه في طرائق الشعر مع عبيد بن الأبرص دليل على صحة ما وصل إلينا من شعره . . وان المقارنة بين آراء هوار وبين آراء طه حسين تكشفنا عن اتفاق محدود بينهما في الشك في شعر امرئ القيس : فأما هوار فيشك في أن تكون أشعاره قد وصلت إلينا في وزنها الأصلي (على ما في هذا الكلام من غموض وغرابة) ، وأما طه حسين فيشك في صحة الشعر المنسوب إليه بوجه عام ، ويعزو معظمه إلى عمر بن أبي ربيعة والفرزدق . كذلك فهو يشك في أن يكون الإمبراطور البيزنطي قد قتل أمرا القيس ، لأنه كما يقول لم يثبت أن كان له ابنة حتى يغرر بها الشاعر ، على حين يشك طه حسين في رحلة امرئ القيس إلى قيصر كلها ، أي أن المستشرق الفرنسي والدكتور متفقدان في الشك على الأقل في جزئية من هذه الرحلة هي قصة الحب ، وان كان الدكتور طه لا يكتفى بهذا بل يعمم هذا الشك على الرحلة كلها . . نخلص من هذا إلى أنه إذا كان الدكتور طه قد أخذ بعض أفكار هوار الموجودة في هذه المقالة ، وهذا شيء غير مستبعد ، إذ أنه كان كثير الاستشهاد بآراء الرجل مما يدل على معرفته بكتاباته وأفكاره بل كان شديد الإعجاب به (٢١) ، فإنه لم يأخذها كما هي ، بل نفخ فيها وضخمها حتى تحول شك هوار القليل والمصور في جزئيتين خاصيتين كما رأينا إلى شك يكاد يشمل كل ما يتعلق بحياة الشاعر وشعره .

هذا عن آراء طه حسين في حياة امرئ القيس وشعره . أما اتهام الرافعي له بأنه سرق زعم هوار أن النبي عليه الصلاة والسلام قد نهى عن رواية شعر أمية بن أبي الصلت فإن كلام الدكتور طه حسين نفسه (٢٢) يبدو أنه يزكي هذا الاتهام . (وان كان هناك بعض الاختلاف بينهما مما سأتسرع

(٢١) انظر على الأقل فصل « الدين ونحل الشعر » من كتاب « في الشعر الجاهلي » حيث يناقش الدكتور طه حسين بعض آراء هذا المستشرق ويبدى إعجابه الشديد به .

(٢٢) انظر في الشعر الجاهلي/ ص ٨٢ — ٨٦ .

اليه عما قليل) ، فمقد ذكر أولا قول هوار أن صحة الشعر المنسوب إلى أمية واستعانة النبي في نظم القرآن قد حملتا المسلمين على مجارية شعر أمية ومحوه ليصح أن النبي قد انفرد بتلقى الوحي من السماء (٣٣) ، ثم عقب على ذلك بأنه من أشد المعجبين بالاستاذ هوار وبطائفة من المستشرقين أمثاله وبنتائج بحوثهم (مع مخالفته له في صحة شعر أمية) ، وبعد ذلك ردد فكرة هذا المستشرق عن النهي عن رواية شعر الشاعر ، وإن كان قد وصل إليها من طريق آخر . إلا أن الأمانة العلمية تملئ علينا أن نذكر ملاحظاته من أن د. طه حسين لم يقل أن النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي نهى عن رواية شعر أمية ، بل قال : « وليس يمكن أن يكون من الحق في شيء أن النبي نهى عن رواية شعر أمية لينفرد بالعلم والوحي وأخبار الغيب » (٣٤) ، مما يفهم منه أن الذي نهى رواية شعر أمية لم يكن النبي بل المسلمون وأن ذلك كان خاصا بالشعر الذي هجا به أمية المسلمين وأيد فيه المشركين . أكثر من ذلك أن الدكتور طه يشك في الشعر الذي يتناول فيه أمية أمورا تشبه ما جاء في القرآن الكريم ، ويرى أن المسلمين هم واضعو هذا الشعر على لسان هذا الشاعر ليثبتوا أن للإسلام قدمة وسابقة في البلاد العربية . خلاصة القول أنه إذا كان الدكتور طه حسين قد أخذ الجزئية الخاصة بالنهي عن رواية شعر أمية من هوار (وليس ما يمنع عندي من ذلك بل أنا أرجحه) فإنه في

(٣٣) وردت هذه الآراء ، كما ذكر طه حسين ، في بحث لهذا المستشرق نشرته له المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤ . وقد لاحظت أن هوار لم يذكر هذه النقطة في كتابه *La Littérature Arabe* في المواضع التي ورد فيها فكر أمية . وهذا الكتاب قد ظهر قبل نشر مقالته المشار إليها ، بل ترجم أيضا إلى الإنجليزية في العام السابق على سنة ظهور هذه المقالة . فهل نفهم من ذلك أن زعمه الخاص بنهي النبي عن رواية شعر أمية لم يكن قد عن له قبل هذه المقالة ؟ يبدو ذلك .

نفس الوقت يخالف ذلك المستشرق في بعض افكاره الأخرى المتصلة بالموضوع .

أما اتهامه بأنه أخذ ما يفيد كلامه من أن النبي عليه الصلاة والسلام هو مؤلف القرآن من هوار وغيره من المستشرقين فقد جاء في معرض مناقشته لموقفه من القرآن الكريم وما يحكيه من قصة إبراهيم وإسماعيل وهجرتهما إلى مكة ورفعهما قواعد البيت الحرام . والشق الأول في هذا الاتهام ليس فيه أي قدر من التجني ، فان موقف طه حسين من هذه القصة القرآنية والحاقه إياها بالأساطير وقوله أن الإسلام قد استغلها لأسباب سياسية لا يمكن أبدا ، مهما كان القارئ حسن الظن ، فهمها إلا على أساس أن طه حسين قد قصد أن القرآن من صنع الرسول عليه السلام . ولكن ماذا عن الشق الثاني من الاتهام ، أعني أن طه حسين قد أخذ كلامه هذا من هوار وغيره من المستشرقين ؟ الحقيقة أنه لم يؤثر عن الدكتور طه حسين ، قبل سفره إلى فرنسا ، مثل هذه الآراء . والذي جد عليه أثناء بعثته إلى هناك هو احتكاكه بأفكار المستشرقين احتكاكا مباشرا وعلى نحو أشد مما في مصر ، بحكم اتساع معرفته باللغة الفرنسية وسهولة اتصاله بكتابات المستشرقين ، التي لم يكن متوافرا منها في مصر إلا القليل ، وكذلك بحكم الحرية التامة التي لا شك أن هؤلاء المستشرقين كانوا يتحدثون بها عن الإسلام في بلدتهم على عكس ما كان ينبغي عليهم أن يراعوه في محاضراتهم بمصر ، مهما بلغت جراتهم وعدم مبالاتهم بمشاعر أهل البلد المسلمين . أي أن هذه الإنكار لم يكن لها وجود في كتابات طه حسين ثم أصبح لها وجود بعد عودته من فرنسا واتصاله المباشر القوي بالمستشرقين وأفكارهم عن الإسلام والقرآن والرسول عليه السلام . من هنا فإني لا أستطيع إلا أن أوافق المرحوم الرافعي على أن طه حسين ، حيثما يلح إلى أن القرآن هو من تأليف النبي عليه الصلاة والسلام ، أنها يردد آراء المستشرقين ، ومنهم هوار بطبيعة الحال ، الذي كان يكن له إعجابا شديدا كما رأينا .

تشابه آراء طه حسين ومرجليوث

ويبقى اتهام الرافعي رحمه الله طه حسين بأنه أخذ فكرته عن الشعب الجاهلي من مرجليوث ، وإن كان عاد فاشار ، بناء على ما أخبره به أحدهم ، إلى أنه ظهر قبل مقالة مرجليوث بعشرات السنين (سنة ١٨٨٠ بالتحديد) كتاب في باريس بعنوان « الشعر العربي قبل الاسلام » . والحقيقة أنني حاولت معرفة مؤلفي هذا الكتاب لأترقى من ذلك إلى معرفة الأفكار الواردة فيه والتأكد من دعوى الرافعي رحمه الله ، ولكني لم أصل إلى شيء . وعلى هذا فلن أناقش هنا هذا الاتهام ، وسأركز كلامي على اتهام طه حسين بأخذ أفكار مرجليوث ، ذلك الاتهام الذي كان الأستاذ الرافعي ، في حدود علمي واستقصائي ، أول من وجهه إليه (كتابة طبعا ، والا فإن الأستاذ شاعر ، فيها يروى ، قد اتهم طه حسين أمام بعض زملائه من الطلاب منذ أول يوم ، وهو ما سنتعرض له بعد قليل) . قال الرافعي (٣٥) : « ولقد أخذ » يقصد الدكتور طه (فكرة الشك في شعر الجاهلية عن المستشرقين أيضا ، فقد كان حدثنا الأستاذ العلامة الكبير صاحب مجلة المقتطف في شهر سبتمبر من السنة الماضية أن مجلة الجمعية الآسيوية نشرت بحثا للشيخ مرجليوث ، المستشرق الانجليزي المعروف ، أنكر فيه صحة الشعر الجاهلي ، ثم ساق لنا الأستاذ بعض أدلته فلم نجد فيها مقنعا ولا رضا . وقلنا : هو رأى في العلم لا علم ، ثم هو من مستشرق ، وذلك أو هن له . وما كان لنا أن نأخذ عن القوم في الأدب العربي الا بتريض واحتراس . ولما فتحت الجامعة اذا المستر طه حسين ينتحل الفكرة ، ويدعيها ، ويوب لها أبوابا ، ويفصل فصولا ويدرس ذلك في الجامعة » .

وواضح من هذا النص أن الرافعي رحمه الله قد اتهم طه حسين بأنه

سرق فكرة مرجليوث الأساسية ، ولكنه عرضها عرضاً مفصلاً . وواضح أيضاً أن مقالة مرجليوث قد وصلت إلى مصر قبل أن تفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسي ٢٥ - ١٩٢٦ ، وإن الأستاذ الراحل قد علم بمسا فيها في سبتمبر ١٩٢٥ . وقد أشار إلى ذلك بقوله : « في شهر سبتمبر من السنة الماضية » . ولما كان قد كتب مقاله التي اقتبسنا منها هذا النص مع بقية مقالاته في سنة ١٩٢٦ اثر ظهور كتاب « في الشعر الجاهلي » لم يعد هناك شك في هذين التاريخين اللذين أوردناهما .

وأحب أولاً أن أعرض النقاط الرئيسية التي تتكون منها نظرية مرجليوث عن الشعر الجاهلي ، ثم أقابل بينها وبين العناصر الرئيسية في فكرة الدكتور طه حسين حول الموضوع ذاته لنرى مدى التشابه أو التباعد بينهما . وبعد ذلك أنتقل إلى التحقيق من تاريخ صدور بحثي مرجليوث وطه حسين . وفي النهاية أناقش إلى أي حد يمكننا القول أن طه حسين قد أخذ فكرته وآراءه من مرجليوث أولاً ، فأما بالنسبة لأفكار مرجليوث الرئيسية في مقاله المشار إليها (٣٦) فإنه يشك في وجود أي شعراء جاهليين (٣٧) ، ولا يصدق ما انت به الروايات عن كثرة الشعراء والقصائد كثرة هائلة في العصر الجاهلي ، الذي لا يمتد في الماضي ، على ما تقوله هذه الروايات نفسها ، أكثر من عدة أجيال قليلة قبل الإسلام ، وهو ما لم يتحقق لبلاد الاغريق نفسها على رغم علو كعبها في مضمار الحضارة (٣٨) . وهو يستبعد أن يكون الشعر الجاهلي قد حفظ

(٣٦) هذه المقالة عنوانها :

The Origins Of Arabic Poetry

وهي منشورة في .

Journal Of the Royal Asiatic Society

شهر يولية ١٩٢٥/ص ٤١٧ - ٤٤٩ .

(٣٧) ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

(٣٨) ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

عن طريق الرواية الشفوية ، إذ لا يمكن ، في نظره ، أن يكون هناك رجال مهنتهم حفظ الشعر وروايته . وكذلك فإن الاسلام قد هاجم الشعر والشعراء مما لابد أنه دفع المسلمين الى نسيان الشعر الجاهلى . ثم ان كثيرا من هذا الشعر يدور حول الحروب القبلية ، الأمر الذى كان من شأنه إثارة العصبية وهو ما نهى عنه الاسلام . ومن هنا نيز المسلمون هذا الشعر فلم يرووه (٣٩) . وكما استبعد أن يكون الشعر الجاهلى قد حفظ بالرواية الشفوية فإنه يستبعد حفظه كتابيا . وهو يستند في هذا الى نفى القرآن الكريم أن يكون عند العرب كتاب يدرسونه (٤٠) ، مع أنه لا صلة بين هذا وذاك ، إذ ان القرآن ينفى أن يكون لدى العرب كتاب سماوى لا أنهم جميعا لم يكونوا يعرفون الكتابة والقراءة .

ومن الأسباب التى اتخذها مرجليوث أيضا ذريعة للشك في الشعر الجاهلى ان هذا الشعر هو اكثر تطورا من القرآن الكريم ، إذ انه بطبيعة الحال يجعل القرآن الكريم من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام ، والقرآن في نظره ينتمى الى مرحلة مهددة لظهور الشعر ، ولكنه لا يرقى الى أن يكون شعرا . وما دام الامر كذلك فلا يمكن أن يكون الشعر الجاهلى قد سبق القرآن (٤١) . وهو يضيف الى هذا السبب أن رواة الشعر في القرنين الثانى والثالث بعد الهجرة ليسوا أهلا للثقة ، كما تخبرنا الروايات التى أوردتها المراجع العربية نفسها عنهم ومنهم في بعضهم البعض (٤٢) . على ان هناك ، في رايه ، أسبابا أخرى غير هذه الأسباب يسميها بالأدلة الداخلية ، ويمكن تلخيصها على هذا النحو : أن في الشعر الجاهلى اشارات الى قصص قرآنية ، والفاظا دينية اسلامية ، على حين لا نجد فيه جو الآلهة المتعددة

(٣٩) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .

(٤٠) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ .

(٤١) ص ٤٢٥ — ٤٢٦ .

(٤٢) ص ٤٢٨ — ٤٣٤ .

(بالنسبة للشعراء الوثنيين) ولا اشارة الى النصرانية وتعاليمها وكتابتها الا في النقرة (٤٣) . والى جانب ذلك هناك الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة ، وكذلك بين لغة الشمال والجنوب ، فاین هذه الاختلافات في الشعر الجاهلى ، الذى نظم كله بنفس اللغة التى صيغ بها القرآن (٤٤) ؟ وأخيرا فان بناء القصائد الجاهلية يدل على انها نظمت بعد ظهور القرآن ، الذى يقول مرجليوث عنه انه لما قال ان الشعراء يتبعهم الفاوون ، وانهم فى كل واد يهيومن ، وانهم يقولون مالا يفعلون جاء واضعو هذه القصائد وناحلوها للجاهليين فعملوها تبتدىء بالغزل الحسى (ليس الشعراء يتبعهم الفاوون ، بما يدل على انهم هم انفسهم غاوون ؟) لتنتقل الى وصف رحلة الشاعر (تحقيقا لقول القرآن فى الشعراء انهم فى كل واد يهيومن) ، ثم تخرج من ذلك الى مبالغة الشاعر فى الحديث عن انجازاته وتضخيمها (تصديقا لرسم القرآن للشعراء بأنهم يقولون مالا يفعلون) (٤٥) . ويعود مرجليوث فيقول ان النقوش التى عثر عليها لا تحتوى على أى شعر من تلك الفترة ، ورايه انه اذا كانت الممالك الجاهلية التى خلفت لنا هذه النقوش لم تعرف الشعر ، فكيف نصدق أن الاعراب المتبدين كان لهم هذا الشعر الراقى المنسوب الى

(٤٣) ص ٤٣٤ — ٤٤٠ .

(٤٤) ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

(٤٥) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ . ومن الواضح ان مرجليوث ، ان احسنا به

الظن ، لم يفهم المقصود بهذه الآيات ، فهى لا تتحدث ، كما يفهم من كلامه ، عن غواية الجنس والهيمن فى اودية البادية ودروبها . . . الخ ، بل تتحدث عن الشعراء الذين يوظفون فنهم فى نصره الشر واتباع غواية الكفر ، والجري فى اودية الوهم والضلال ، والتفنج والمبالغة فى القول دون ان يتبعوه بالعمل . وقد لاحظت ان الدكتور ناصر الدين الاسد ، على رغم عظمة الجهد الذى بذله فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلى » ، قد اضطرب قليلا فى عرضه لهذه النقطة من افكار مرجليوث ، وعزا ذلك الى غموض العبارة فى كلام هذا المستشرق ، مع ان هذا غير صحيح . انظر ص ٣٦٥ — ٣٦٦ من كتاب الدكتور الاسد .

الجاهلية ؟ علاوة على أن القرآن لم يذكر الموسيقى ، التى هى فى رأيه من مستحدثات العصر الأموى ، فكيف يمكننا تصور وجود وزن شعري عند العرب بهذا الانتظام والوفرة وهم لم يصرفوا الموسيقى (٤٦) ؟ وفى النهاية يرى مرجليوث أننا إذا أردنا أن نعرف حالة العرب فى عصر البعثة النبوية فأمامنا القرآن (٤٧) .

فإذا ما انتقلنا الى النظر فى آراء طه حسين تأكد لدينا أن الأسباب التى استند اليها فى شكه فى الشعر الجاهلى لا تكاد تخرج عما قاله مرجليوث ، فهو فى فصل « مرآة الحياة الجاهلية يجب أن تلتبس فى القرآن لا فى الشعر الجاهلى » (٤٨) ينكر أن يكون ما يسمى بالشعر الجاهلى ممثلاً للحياة الجاهلية ، التى لا يمكن دراستها الا من خلال نصوص القرآن . اليس هذا بما قاله مرجليوث (٤٩) ؟ وهو يرى أن هذا الشعر المسمى بالجاهلى لا يعكس لنا الحياة الدينية عند الجاهليين . وهذا قريب جداً مما قاله مرجليوث (٥٠) . غير أن أمانة العلم تلزمنا أن نوضح أن د . طه قد زاد هنا أن الشعر الذى يضاف للجاهليين لا يمثل حياة العرب السياسية او الاقتصادية او المدنية (٥١) .

أما كلامه عن لغة الشعر الجاهلى وأنها لا تمثل الاختلاف بين لغة الشمال ولغة الجنوب أو الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة فهو فى خطوطه العامة

(٤٦) ص ٤٤٦ — ٤٤٨ ..

(٤٧) ص ٤٤٩ .

(٤٨) فى الشعر الجاهلى / من ص ١٥ — ٢٣ .

(٤٩) ص ٤٤٩ من « مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .

(٥٠) ص ٤٣٤ — ٤٤٠ .

(٥١) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٩ — ٢٣ .

(٥٢) وذلك فى فصل « الشعر الجاهلى واللغة » و « الشعر الجاهلى

واللهجات » من كتاب « فى الشعر الجاهلى » / ص ٢٤ — ٣٠ ، ٣٢١ — ٣٢٩ .

هو نفسه ما قاله مرجليوث (٥٣) ، وإن كان الدكتور طه قد خرج في الفصل الأول من الفصلين المشار إليهما إلى الحديث عن قصة سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وهجرتهم إلى مكة . . . الخ وعدها أسطورة اخترعها العرب ، واستغلها القرآن للتقرب من اليهود ، مما لم يتناوله مرجليوث في مقالته .

كذلك فإن قوله أن الشعر الجاهلي لم يصلنا إلا بالرواية الشفوية يشبه رأى مرجليوث ، الذي ينفي انتقال الشعر المنسوب إلى الجاهليين إلينا عن طريق الكتابة (٥٤) . أما بالنسبة للرواية الشفوية لهذا الشعر فإن مرجليوث ينفي وجود حفاظ حرفتهم رواية الشعر في ذلك الوقت ، وهو قريب من شك طه حسين في مقدرة الحفظ والرواية على نقل هذا الشعر (٥٦) .

قد يقال أن الدكتور طه قد أتى بجديد حين أورد بين أسباب شكه أن علماء الإسلام قد دفعهم حرصهم على أن يستشهدوا بالشعر الجاهلي على الفاظ القرآن والحديث والمذاهب الكلامية على وضع الشواهد المطلوبة وضعا (٥٧) . ولكن بعض التفكير في ما قاله الدكتور طه سوف يبين لنا أن ذلك متفرع من قول مرجليوث أن الشعر الجاهلي يتضمن الفاظا دينية إسلامية (٥٨) .

ومع ذلك فقد أتى د. طه حسين بأشياء ليست عند مرجليوث . وفي

(٥٣) انظر ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

(٥٤) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٥) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٦) انظر ص ٨٤ من فصل « الدين وانتحال الشعر » من كتاب « في الشعر الجاهلي » حيث يتخذ من ورود شعر أمية بن أبي الصلت عن طريق الرواية سببا في شكه فيه .

(٥٧) انظر ص ٣٨ — ٤١ من كتاب « في الشعر الجاهلي » .

(٥٨) انظر ص ٤٣٥ — ٤٣٨ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية المذكورة .

المقابل نجد أن مرجليوث قد ذكر أشياء لم ترد عند طه حسين : فمثلا في « الكتاب الثاني » من كتابه « في الشعر الجاهلي » يتحدث طه حسين عن أسباب انتحال (كذا) الشعر ، وهو مالم يتعرض له مرجليوث باستثناء آرائه الشفوية (كما قدمنا) ، وهي تشبه رأى الدكتور طه . أما مرجليوث فقد ذكر أن الاسلام ، لحرصه على دفن العصبيات ، كان من وراء إهمال المسلمين للشعر الجاهلي المملوء بالحديث عن الحروب القبلية التى كانت هذه العصبيات من ورائها تغذيها وتلهبها (٥٩) . كما أشار الى أن الشعر المسمى بالجاهلي لا يمكن الا أن يكون لاحقا للقرآن لا سابقا عليه ، وذلك لأنه فى نظره أكثر تطورا فنيا من القرآن (٦٠) . ثم انه قد استبعد وجود هذا العدد الضخم من الشعراء والقصائد فى العصر الجاهلي على حين لم يتحقق ذلك لبلاد الاغريق المتحضرة (٦١) . ويضاف الى ذلك ما ذكره من أن القرآن لم يشر الى وجود الموسيقى عند العرب فكيف نصدق بوجود أوزان شعرية على هذه الدرجة العالية من الانتظام والتنوع (٦٢) ؟ وكذلك ما زعمه من أن نظام القصيدة الجاهلية يدل على أنها صناعة اسلامية قصد بها اثبات ما جاء فى أواخر سورة « الشعراء » عن هذه الطائفة (٦٣) . وهو مالم يتعرض له طه حسين .

نخلص من هذا الى أن مرجليوث والدكتور طه حسين يتفقان فى معظم البواعث الأساسية التى دفعتهما الى الشك فى صحة الشعر الجاهلي . وقد رأينا أن مرجليوث قد ذكر هنا أشياء لم يذكرها الدكتور طه . كذلك فإن

(٥٩) انظر ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من المجلة المذكورة .

(٦٠) انظر ص ٤٢٥ — ٤٢٦ من المرجع السابق .

(٦١) انظر ص ٤٢٢ — ٤٢٣ من المجلة السالفة الذكر .

(٦٢) ص ٤٤٦ — ٤٤٨ .

(٦٣) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

الدكتور طه لم يقف عند هذا الحد ، بل مضى فتحدث عن الأسباب التي يرى أنها كانت وراء وضع الشعر ونحله للجاهليين ، وهو ما لم يتعرض له مرجليوث الا عرضا وفي نقطة واحدة ليس غير . بيد أن هذا القسم من كتاب الدكتور طه ما كان ليوجد لولا القسم الأول من الكتاب ، الذي يتشابه الى حد كبير مع ما قاله مرجليوث تشابها واضحا . فهذا القسم الأول هو الأساس . هذا ، ولم اذكر القسم الثالث من كتاب « في الشعر الجاهلي » لانه عبارة عن دراسة تطبيقية على عدة شعراء جاهليين ، ونحن انما نتحدث هنا عن الأفكار النظرية . وايضا فاني أحب أن أذكر القارئ أنني ، لعدم اهتدائي الى الكتاب المطبوع في باريس (١٨٨٠) الذي ذكر المرحوم الرافعي أن احدهم قد أخبره بأن الدكتور طه قد اعتمد في دراسته للشعر الجاهلي عليه ، لا أستطيع أن أعقد موازنة بينه وبين وبين كتاب « في الشعر الجاهلي » .

هل كان طه حسين على علم بمقالة مرجليوث في الشعر الجاهلي ؟

والآن ، كيف نفسر هذا التشابه في أساسيات فكرة مرجليوث وفكرة طه حسين ؟ ان الرافعي قد اتهمه بسرقة مرجليوث وهو اول من سجل هذا الاتهام مكتوباً فيما نعرف (كما قلنا سابقاً) . والحقيقة ان كثيراً ممن جاءوا بعده يرون هذا الرأي ، وان عبر كل منهم عنه بطريقته الخاصة (٦٤) . ومع ذلك فان الدكتور ابراهيم عبد الرحمن ينفي نفياً قاطعاً ان يكون طه حسين قد تأثر بمرجليوث في أى شيء . كذلك هناك عبد الرشيد الصادق ، الذى يقدم نظرية جديدة في هذا الموضوع قوامها ان طه حسين لم يتأثر بمرجليوث بل برينان . ثم هناك د. عبد الرحمن بدوى ودفاعه عن طه حسين . وسوف نناقش فيما يلى هذه المسألة .

يقول د. ابراهيم عبد الرحمن (٦٥) : « تجددت حملة التهجيم على طه

(٦٤) انظر د. ناصر الدين الاسد/مصادر الشعر الجاهلي/ص ٣٨٠ ، ٤١١ وكذلك ص ٤١١ ، ٤١٢ حيث يشير د. الاسد الى اتهامات محمد احمد الفمراوى ومحمد الخضر حسين للدكتور طه حسين باحتذاء مرجليوث . وانظر د. شوقى ضيف/العصر الجاهلي/ص ١٧٥ حيث يقرن في نقده لفلو المحدثين في شكهم في الشعر الجاهلي بين مرجليوث وطه حسين قرناً ذا مغزى . وانظر كذلك اشارة د. احمد كمال زكى الى محاولة د. طه حسين ان يثبت مساواته لمرجليوث في الاستنباط وفهم دلالات الاخبار . وتنبه لحرصه على ان يوضح تاريخى صدور بحثى مرجليوث وطه حسين مما له دلالتة/طه حسين كما يعرفه كتاب عصره/ص ١٧٢ ، ١٨٨ . وانظر الأستاذ محمود شاكر/المتنبى/السفر الاول/ص ١٥ — ٢٦ ، ود. عفت الشرقاوى/دروس ونصوص في قضايا الادب الجاهلي/ص ٨٦ — ٨٧ .

(٦٥) الأهرام/عدد الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ . الصفحة الأدبية تحت عنوان/ الى خصوم طه حسين ومؤيديه : النص الكامل لمقالة مرجليوث في براءة عميد الأدب العربى .

حسين أخيراً في بعض الكتابات المصرية ، وهو ما يجعل منها ظاهرة مقلدة في ثقاتنا المعاصرة . ومصدر القلق أننا نبيع لأنفسنا الحكم على الأشياء عن طريق « السماع » فنقع آنذاك في أحكام ظالمة وغير صحيحة ، ولقد أخذنا أنفسنا إلى الأصول لقراءتها وتحليلها لجاءت أحكامنا صحيحة ومنصفة . وفي موضوع طه حسين والشعر الجاهلي أرشح لهذه القراءة ثلاثة أعمال تبدأ بأحدثها ، وهو رأي مرجليوث في كتاب « في الأدب الجاهلي » المنشور في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية — أكتوبر ١٩٢٧ . ولهذا الرأي أهميته وخطورته لأنه أولاً : يمثل وجهة نظر لا تزال غير معروفة للذين كتبوا عن طه حسين ، ولأنها (كذا) ثانياً : صادرة عن طرف أصيل في هذه القضية المزعومة ، قضية « سطو » طه حسين على أعمال المستشرقين . ثم يترجم الدكتور مقال مرجليوث ، ثم يعقب عليه بقوله أن « اتهام طه حسين بالسطو على أفكار مرجليوث ... حل هذا المستشرق على ترتيب أفكاره في هذه المقالة ترتيباً علمياً دقيقاً يتمثل في شيئين : الأول حقيقة ثابتة ، وهي أن العاملين كليهما قد نشرنا في وقت واحد تقريباً ، وأن كلا من الكاتبين ... قد توصل إلى آرائه مستقلاً تماماً عن الآخر . والثاني أن آراء مرجليوث في الشعر تفاقض آراء طه حسين . فمرجليوث ينكر أن يكون الجاهليون قد عرفوا نظم الشعر ، وأن ما وصل إلينا منه من صنع الشعراء المسلمين الذين احتضوا لغة القرآن ، بينما يذهب طه حسين إلى الثقة في وجود شعر جاهلي ، ولكن يتشكك في صحة كثير من نصوصه التي وصلت إلينا وكانت بسبب الرواة عرضة للوضع والتحريف ... الخ » .

والحقيقة أن مرجليوث مجرح في شهادته ، وهو عندي ليس أفضل بل أسوأ من هؤلاء العاطلين الذين يتجمعون عند أبواب المحاكم في انتظار من يطلبهم للشهادة بالأجرة ، فينصرون الباطل على الحق ، وكله بالفلوس ، وحتى لا يظن بعض أنني متجن على هذا المستشرق أذكرهم بما سبق أن دللت عليه (في هذه الدراسة) من خيائنه لأمانة العلم ، إذ يملأ له حقه أن يضع يديه على عينيه كيلا يرى حقائق التاريخ فيرمى رسولنا الكريم بأنه « شيخ » (م ٥ — معركة الشعر الجاهلي)

منسـر « وانـتا لا تـبقـى أن نـثـق كـثـيراً بـما يـقـول ، وغيـر ذلك مـما يـدل دـلالة جـازمة عـلى أن هـذا الرـجل فـائد العـدالة غـير أهـل للشـهادة . ويضـاف إلـى ذلك هـذه المـبادرة المـريبة إلـى نـفى اسـبقـيته عـلى طـه حـسين ، وغيـفنا بـالبدعيـن أن يـحرصوا عـلى اثبات سـبقهم بـكل سـبيل حـتى فى التافه واليسـير من الامـر ولو كان صـورة بـيانية طـريفة أو اسـتقاقاً جـديداً مثـلاً . أن هـذه أول مرـة ، فـيما أذكـر ، أسمع فـيها بـكاتب يـنفى أن يـكون كـاتب آخـر قد تأثـر به رـغم تشـابه فـكرة هـذا الكـتاب مـع فـكرته . والسؤال الآن : عـلى أى أساس عـرف مرـجـليوـث أن طـه حـسين لم يـتأثـر بـما كـتبه هو وقد كان بـينهما آلاف الأمـيال وبـحار وجبال ووهاد ومـدن وقرى لا يـحصيها إلا خـالقها ؟ أـيكون مرـجـليوـث من أهـل الخـطوة وتـحن لا نـدرى ؟ إلا يـرى القارىء مـعـى أن شـهادة هـذا الشـاهد « المتـبرع » بشـهادته دون أن يـطلب إلـيه أحـد ذلك هـى شـهادة مـجرحة سـباقطة ؟ قد يـقول بعض الذـين يـثقون بـمرـجـليوـث : أن هـذا كـلام نظـرى ، ولا مانع أبداً أن تـكون هـذه خـيانتـه لأمـانة العلم فـيما يـتعلق بـمحمد (هـذا إذا عـدوها خـيانة !) ، ومع ذلك يـشهد فى حـق طـه حـسين شـهادة عادلة . ومع أن هـذا المنطق غـير مقبـول لدى ، لأن ما ذكـرته عن هـذا المسـتشرق كاف عـندى تماماً لرفض شـهادته المـريبة ، فأنى أقول ، لا « عـلى السـماع » بل بالدليل الموثق الذى يـصك هـذا المرـجـليوـث الكـيـذابان فى وجـهه صـكا : انك يا مرـجـليوـث حين تقـول أن بـحثك عن « أصول الشـعر الجاهلى » قد نـشر فى مجـلة الجـمعيـة المـلكية الآسيوية فى الوقت نـفسه تقـريباً الذى ظـهرت فـيه طـبعة كـتاب « فى الشـعر الجاهلى » أنـها انت كاذب كاذب كاذب (كاذب بالثلث) ، فانت تعلم جيـداً انك نـشرت بـحثك فى المجـلة المذكورة فى يـولية ١٩٢٥ وأن طـه حـسين قد فرغ من تـأليف كـتابه فى أواخر مارس ١٩٢٦ (٦٦) . فاذا أضفنا شهـراً مثـلاً للطـباعة كان بـين ظـهور بـحثك

(٦٦) انظر أسـفل ص ١٨٣ من كـتاب/ فى الشـعر الجاهلى حيث يؤرخ طـه حـسين فراغه من تـأليف الكـتاب بـ « ١٨ مارس سـنة ١٩٢٦ » ، وكذلك أسـفل صـفحة الـاهـداء حيث يؤرخ كـلمته المـوجهة إلـى ثـروت باشا رـئيس

وظهور كتاب الدكتور طه حسين عشرة شهور ، أى قريب من سنة ، فكيف تقول عن كتابين بينهما هذه المسافة الزمنية انهما قد ظهرا في نفس الوقت تقريبا ؟ ان هذا كذب بواح ، فعلام يدل ذلك (١٧) ؟

وثمة دليل آخر على أن هذا المستشرق كذاب لا تقبل شهادته ، هو قوله « ان طبعة الكتاب الاول » (يقصد كتاب « في الشعر الجاهلى ») ... قد سحبت من التداول لاحتوائها على بعض الفقرات التى يظن أن فيها مساسا بالقرآن » (١٨) الا يعرف مرجليوث أن تلك الفقرات المشار اليها تخالف فعلا (لا ظنا) القرآن الكريم ؟ اننى لا أحجر على أحد أن يعتقد أو يقول ما يشاء ، بيد أن هذا شيء والشفطية على معتقدات هذا « الأحد » وآرائه شيء آخر ليس من امانة العلم ولا القلم فى كثير ولا قليل .

ربما قال قائل : اننا نسلم بكذب مرجليوث وبأن الكتابين تفصل بين صدورهما فعلا عشرة شهور ، ولكن ما يدريك ؟ لعل المقالة لم تصل الى مصر الا بعد ظهور كتاب الدكتور طه . غير أن قائل هذا الكلام ينسى اننا نعلم على وجه اليقين أن عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية قد وصل مصر قبل صدور كتاب طه حسين بل قبل بدء العام الدراسى ومحاضرات الدكتور فى الشعر الجاهلى بوقت كاف جدا ، اذ أخبرنا الرافعى أن صاحب المكتطف قد أخبره فى سبتمبر ١٩٢٥ قبل فتح الجامعة أبوابها للسنة الجديدة

الوزارة بـ « ٢٢ مارس سنة ١٩٢٦ » . وانظر كذلك اشارة زوجته فى كتابها « معك » /ص ٧٨ الى انه انتهى من كتابه فى مارس ١٩٢٦ . وانه كان بدأ كتابته فى يناير من نفس العام .

(٦٧) انظر أيضا سامح كريم/وثيقة جديدة لمرجليوث تبرئ عبيد ادبنا من اتهام استمر ٦٠ عاما/الصفحة الأدبية من اهرام الجمعة ١٧/١/١٩٨٦ حيث يردد رأي د . ابراهيم عبد الرحمن الموجود فى كتابه « بين القديم والجديد » ص ٤٤٠ — ٤٤٢ .

(٦٨) اهرام ٧/٢/١٩٨٦ . الصفحة الأدبية .

تجبر مقالة مرجليوث ولخص له بعض ما فيها من أفكار (٦٩) . والرافعى كما تعلم كان يعيش في طنطا ، وليس قريبا من صروف يقابله باستمرار حتى يقال انه اخبره بخبر المقالة تو وصولها ، اى انه لابد انه يكون قد مر على وصوله مدد المجلة الذى يتضمن المقالة بعض الوقت . كذلك يخبرنا الأستاذ شاكرا بأن نسخة من هذا العدد قد وقعت في يده قبل بداية العام الدراسى بوقت طويل . صحيح انه لم ينص على أن ذلك كان قبل بداية العام الدراسى « بوقت طويل » بصريح العبارة ، ولكن قوله : « ومرت الأيام ، وغاص كلام هذا الأعجمى في لجج النسيان » (٧٠) ، ثم قوله بعد ذلك : « كان مكان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقي محاضراته التى عرفت بكتاب « في الشعر الجاهلى » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجمى الذى غاص في يم النسيان (٧١) له مغزاه . أن نص الأستاذ شاكرا مرتين على أنه كان قد نسى أفكار مقالة مرجليوث عندما بدأ الدكتور طه محاضراته المذكورة يدل على أن قراءته لمقالة مرجليوث كان قد مر عليها وقت طويل ، وهو ما يجعلنى أعتقد أن العدد المذكور من المجلة الانجليزية قد أرسل فور صدوره الى مصر للمشاركين فيها ولمشاهير العلماء والكتاب كيعقوب صروف وكأحمد تيمور ، الذى أعطى نسخته لشاكرا ليقراها . ناذنا عرفنا أن المجلة تصدر في لندن ، أى عاصمة عواصم العالم في ذلك الوقت وعرفنا الدقة الانجليزية (وبخاصة أن المجلة تصدر عن أكبر هيئة علمية في مجالها) وعرفنا مدى انضباط وانتظام البريد الانجليزى (وبالذات في تلك الأيام) تبين لنا أن المجلة لابد أن تكون قد أرسلت الى مصر فور صدورها ، وأن وصولها لم يستغرق الا وقت البريد فقط ، وهو لا يزيد عن أيام معدودات . ولتوضيح ذلك أجيل القارئ على التاريخ الذى كتب فيه د. طه حسين

(٦٩) انظر تحت راية القرآن/ص ١٧٧ .

(٧٠) شاكرا/المتنبى/السفر الاول/ص ١٥ ، ١٧ .

(٧١) المرجع السابق/ص ١٨ .

مقدمة كتابه « في الأدب الجاهلى » وهو ١١ مايو ١٩٢٧ ، وعدد المجلة المذكورة الذى ظهر فيه عرض مرجليوث لهذا الكتاب ، عدد يولييه ١٩٢٧ (٧٣) . فإذا قدرنا لطبع الكتاب شهرا مثلا ، فمعنى ذلك أنه قد ظهر فى النصف الأول من يونيه ١٩٢٧ . كذلك إذا قدرنا أن قراءة مرجليوث له وكتابتة لمرضه قد استغرقتا نحو عشرة أيام ، فانه لا يبقى بين صدور الكتاب ووصوله الى يد مرجليوث فى بريطانيا الا عدة ايام ، هى المدة التى يستغرقها البريد بين مصر وبريطانيا . وهو ما يؤكد أن انتقال المجلة المذكورة فى الاتجاه المعاكس (أى من بريطانيا الى مصر) لم يستغرق الا اياما معدودة كما قلنا .

ولعل بعضا يقول : ربما لم تصل الى مصر الا هاتان النسختان . ولكن قائل هذا يتجاهل أنه كان فى مصر فى فلك الوقت ، بحكم الاحتلال على الأقل ، اعداد كبيرة من المستشرقين والمثقفين الاوربيين المهتمين بما تنشره هذه المجلة وأمثالها من المباحث . وكان فى كلية الآداب وحدها عدد من الاساتذة الاوربيين المستشرقين الذين يلقاهم طه حسين صباح مساء فى الجامعة ويزورونه فى بيته على الأقل فى الأسبوع مرة (كما سبق أن عرفنا من السيدة زوجته) (٧٢) ، فهل من المعقول أن نظن أن كلا من أحمد تيمور ويعقوب صروف يحصل على نسخة من هذه المجلة (هدية او اشتراكا او من أى سبيل آخر) ولا يحصل عليها أولئك المستشرقون والاساتذة الأجانب الذين كانوا حول طه حسين فى الجامعة وفى بيته ، وهذه المجلة انما أنشئت بجهود هؤلاء المستشرقين ومن اجلهم ، يحررونها ويقرونها ؟ واذا وصلت الى ايدى هؤلاء ، ولابد أن تصل وتكون بين ايديهم اثر صدور كل عدد منها بايام قليلة هى المدة التى يستغرقها البريد كما قلت ، فهل سيكتفون ما فيها من علم عن طه حسين وهو زميلهم وصديقهم الحميم المتحمس لهم ولحضارتهم وآدابهم ونظرياتهم وأفكارهم ؟

لم ترى يعقوب صروف والرحوم أحمد تيمور احرص على اطلاع الرافعي وشاكر (وشاكر كان في ذلك الوقت تلميذا على مشارف الجامعة) على ما قال مرجليوث ، من هؤلاء المستشرقين والاساتذة الأجانب أصدقاء طه حسين على اطلاعه عليها ؟ وحتى لو افترضنا جدلا انهم لم يخبروه من تلقاء انفسهم بخبرها ولم يترجموها له ، اليس اتفاق مجلس الجامعة على أن يدرس هو الأدب العربي في هذا العام الدراسي التالي لظهور مقالة مرجليوث يجعلنا نعتقد أنه لابد أن يكون قد سأل وبحث عن المراجع اللازمة لتدريس تاريخ الشعر الجاهلي وأن بعضهم قد أخبره بهذه المقالة باعتبارها آخر ما ظهر وأحدث صيحة في دوائر المستشرقين في عالم النظريات الأدبية ؟

ان للدكتور ابراهيم عبد الرحمن موقفا في هذه المسألة يحسن ايراده هنا . انه مثلا يذكر (٧٤) أن مقالة مرجليوث ظهرت في يولية ١٩٢٥ وكتاب طه حسين « بعد ذلك بشهور ، في أوائل ١٩٢٦ » (وان لم يحدد الشهر الذي ظهر فيه الكتاب ، وقد قلت أنه ابريل على أسرع تقدير) . وهو ما تجاهله عند ترجمته لمقالة مرجليوث والتعليق عليها في عدد الاهرام ١٩٨٦/٢/٧ ، على ما مر بنا ، بل تجاهله أيضا في نفس كتابه السابق « بعد ذلك بصفحة واحدة » حين ساق ترجمة جزء من عرض مرجليوث لكتاب « في الأدب الجاهلي » وفيها ، كما نعرف ، أن الباحثين قد ظهروا في نفس الوقت تقريبا ، وكان ينبغي على الدكتور ابراهيم أن يوضح أن المستشرق هنا يكذب ، لأن فرق عشرة شهور (على الأقل) لا يوصف بأنه « نفس الوقت تقريبا » . كذلك يلاحظ أنه في الجزء الذي ترجمه من عرض مرجليوث المذكور (أم ترجمه د. عبد الله المهنا ؟) (٧٥) قد وردت هذه العبارة (من كلام مرجليوث طبعا) « من كتاب طه حسين : « وفكرة الكتاب مشابهة لتلك الفكرة التي أدت حولها

(٧٤) في كتابه « بين القديم والجديد » / ص ٢١٤ — ٤٤٠ .

(٧٥) انظر « بين القديم والجديد » / ص ٤٤٠ — ٤٤١ .

بحثى عن « اصول الشعر العربي » (٧٦) ، على حين ان هذه العبارة في الترجمة الكاملة لمرض مرجليوث ، التي نشرت في اهرام ١٩٨٦/٢/٧ قد اصبحت : « وفكرة الكتاب مماثلة الى حد كبير للفكرة التي ادرت حولها بحثى عن « اصول الشعر الجاهلى » (٧٧) . وليس من شك في ان هناك قرنا كبيرا بين الكلامين . ومع ذلك فقد تجاهل الدكتور ان يعلق بما يكثفه عن السر في ذلك .

وهذا يقودنا الى ما ذكره تعليقا على عرض مرجليوث من ان اتهام طه حسين بالسطو على افكار مرجليوث ... حمل هذا المستشرق على ترتيب افكاره في هذه المقالة ترتيبا علميا دقيقا يتمثل في شيئين : الاول حقيقة ثانية وهي ان العاملين كليهما قد نشرا في وقت واحد ... الخ (وهذه قد فرغنا من اظهار ما فيها من كذب) ، والثاني ان آراء مرجليوث في الشعر تناقض آراء طه حسين ، فمرجليوث ينكر ان يكون الجاهليون قد عرفوا نظام الشعر ... بينما يذهب طه حسين الى الثقة في وجود شعر جاهلى ولكنه يتشكك في صحة كثير من نصوصه ... وهو لذلك بلح فيما يسميه مرجليوث الجزء البناء من كتابه على استكشاف مقياس نقدى للتمييز بين الشعر الصحيح (كذا) . وسؤالنا هو : هل قال مرجليوث هذا ؟ هل قال مرجليوث او فهم من كلامه على الاقل ان آراه في الشعر الجاهلى تناقض آراء طه حسين ؟ ان مرجليوث قد ذكر بئس ترجمة الدكتور ابراهيم عبد الرحمن لن « فكرة الكتاب » (يقصد كتاب « في الشعر الجاهلى ») مماثلة الى حد كبير للفكرة التي ادرت حولها بحثى عن « اصول الشعر الجاهلى » (٧٨) . اذن ففكرتنا الباحثين متماثلتان ، والى حد كبير ، لا متماثلتان كما جاء في تعقيب الدكتور .

(٧٦) السابق/ص ٢٤١ .

(٧٧) عبارة الاصل الانجليزية هي :

انظر عدد يولية ١٩٢٧ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية/ص ٢٠٢ .

(٧٨) اهرام الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ الصفحة الاممية .

ابراهيم . هذه واحدة ، أما بالنسبة للجزء البناء (كما سماه مرجليوث) ، وهو الجزء الذى يحلوه طه حسين فيه ان يرى اسساً جديدة لتجسيم صحيح الشعر الجاهلى من زائفه ، فلنسمع مرة أخرى ما قاله هذا المستشرق فيه . قال : « ولكن قيمة هذه النظرية (يقصد وجود مدارس شعرية) ، فى رأى طه حسين ، قرب ظهور الاسلام) قد اهتزت الى حد ما بتأكيد المؤلف ان كثيراً من الشعر المنسوب الى هؤلاء الشعراء (يقصد مدرسة اوس بن حجر ، التى تنتهى بجميل بثينة) شعر موضوع ، وملاحظة ان القصص الوحيدة الباقية عن اوس من صنع خيال سقيم ، وان الرواة الذين وصل إلينا عن طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم وبين آخرهم زمن طويل . ولذلك فان النقض من نظرية طه حسين لا يزال أقوى أجزاء الكتاب وأكبرها تأثيراً فى الدراسات الأدبية فى العالم العربى (وهذه أيضاً غير صحيحة ، فقد رأينا كبار الدارسين لتاريخ الأدب العربى يرفضون هذه النظرية المتهاففة) .

اذن فليس تناقض بين الكتابين على الإطلاق ، ولا قال بهمذا مرجليوث . وكيف يقول بهذا فى الوقت الذى لا يوجد فيه الا فرق ضئيل بين فكرته ومفكرة طه حسين ، اذ ان هذا الآخر وان لم ينف الشعر الجاهلى كله قد ضيق الباب تضيقاً شديداً فلم يسمح بمرور شيء من هذا الشعر الا ببالغ الصعوبة ؟ الطريف ان الدكتور ابراهيم ، الذى قال فى اهرام ١٩٨٦/٢/٧ ان آراء مرجليوث تناقض آراء طه حسين هو نفسه الذى كان قد قال قبل ذلك فى كتابه « بين القديم والجديد » ان آراء طه حسين ومرجليوث قد تشابهت وان لم تتطابق تماماً . ومرة أخرى نراه لا يهتم بتوضيح هذا الاضطراب .

سيقول الأستاذ الدكتور : ولكن « ليس هناك شك فى ان تأليف طه حسين لهذا الكتاب قد مر ، مثل أى كتاب يؤلفه أى كاتب ، بمراحل معينة لها أهميتها فى الكشف عن طبيعة الصلة بين كتابه وبحث مرجليوث . لقد بدأ بتدريسه ، كما يقول الأستاذ شلكر ، للطلاب فى شكل محاضرات ظل يرددتها على مسامعهم عاماً بعد عام ، حتى اذا ثبت له صحة ما انتهى

اليه في رواية هذا الشعر أذاعه على الناس في شكل كتاب (٧٩) . ويؤسفني
أن أقول أن الأستاذ شاكر لم يقل هذا ولا يمكن أن يقول هذا ، وإلاماته يكون
قد كذب نفسه بنفسه ، إذ هو قد اتهم الدكتور طه حسين أمام زملائه الطلبة
في سنة ١٩٢٦ ، ولا يزال يتهمه حتى الآن ، بأنه سطا على أفكار مرجليوث .
وقد كان من أثر إيمانه بهذا الاتهام أن ترك كلية الآداب والجامعة كلها ولم
يكل تعطيله الرسمي . وعلى رغم أني قد اشترت قبلأ الى كلام الأستاذ شاكر
في هذه النقطة وأوردت بعضه فأنى سأسوقه هنا ثانية لأهيبته في الرد على
هذه الدعوى الخطيرة التي أن صحت لقلبت القضية رأسا على عقب .
قال الأستاذ شاكر عن لقائه بالأستاذ أحمد تيمور ، الذي أعطاه فيه مجلة
الجمعية الملكية الآسيوية (عدد يولية ١٩٢٥ المنشورة فيه مقالة
مرجليوث) : « جاء يوم فالتقينا ، على عادتنا يومئذ (سنة ١٩٢٥) ، في
المكتبة السلفية عند استاذنا محب الدين الخطيب ، فلم يكذب يجلس حتى
مد يده الى بعدد من مجلة انجليزية (عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية
الملكية الآسيوية) ، وقال لى وهو يبتسم : اقرأ هذه ! فاذا فيها مقالة للأعجمي
المستشرق مرجليوث تستغرق نحو اثنتين وثلاثين صفحة من هذه المجلة ،
بمعنوان « نشأة الشعر العربى » ... ثم بعد أيام لقيت أحمد تيمور باشا ،
وأعدت اليه المجلة ... ومرت الايام وغاص كلام هذا الأعجمي في لجج
النسيان ... (الى أن يقول :) كان ما كان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور
طه يلقي محاضراته التي عرفت بكتاب « فى الشعر الجاهلى » . ومحاضرة
بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجمي الذى
غاص فى يم النسيان » (٨٠) . لا جدال فى أن الفرق بين كلام الأستاذ شاكر
وما نسبته اليه الدكتور ابراهيم عبد الرحمن واضح تمام الوضوح وخطير جد
خطير . وهو يعنى أن الأستاذ شاكر لم يقل من قريب أو من بعيد ان الدكتور

(٧٩) بين القديم والجديد/ص ٤٤٠ .

(٨٠) المتنبي/السفر الاول/ص ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ .

طه كان يحاضر في موضوع الشعر الجاهلي عاما بعد عام . وكيف يمكن ان يقول ذلك وطه حسين لم يحاضر في موضوع الشعر الجاهلي ، بل لم يحاضر في أي موضوع من مواضيع الأدب العربي في الا في السنة الدراسية ٢٥ — ١٩٢٦، حين تحول من تدريس التاريخ اليوناني والروماني الى تاريخ الأدب العربي (٨١) ؟ بل انه حتى في مقالاته عن الأدب العربي التي كتبها قبل هذا التاريخ والتي نشرها بعد ذلك في « حديث الأربعاء » ليس فيها ولا مقالة واحدة عن الشعر الجاهلي . انما ابتدا يتناول بالتحليل والتذوق قصائد جاهلية منذ سنة ١٩٣٥ ، أي أن الشعر الجاهلي قبل العمام الدراسي ٢٥ — ١٩٢٦ لم يشغل طه حسين ولا حاضر فيه ولا كتب عنه ، على خلاف مرجليوث (وهذه نقطة هامة جدا) ، الذي كان مشغولا بهذا الموضوع منذ سنة ١٩٠٥ على الأقل ، عندما أصدر كتابه Mohammed and the

Rise of Islam الذي وردت فيه عبارة تلخص نظريته في الشعر الجاهلي

تلخيصا محكما في كلمات قلائل ، هذا نصها بالانجليزية : The early Poetry is Largely fabrication modelled on the Koran (٨٢)

(ومفادها انه يرى أن الشعر القديم (يقصد الجاهلي) ملفق الى حد كبير على غرار القرآن) (٢٤) ، والذي ظل مشغولا به الى ان كتب مقالته المذكورة ، بدليل انه عاد فلمس هذا الموضوع مرة أخرى وابدى شكه في صحة الشعر الجاهلي في مقالة يعرض فيها كتاب « الخصائص » لابن جني وذلك سنة ١٩١٦ (٨٥) ، وكذلك في مادة « محمد » ، التي كتبها لـ Encyclopaedia of

Religion and Ethics حيث يقول ما ترجمته « ومن ... غير المحتمل

(٨١) انظر سماح كريم/ماذا يبقى من طه حسين/ص ٨١ ، ١٤٢ ود. عبد الرحمن بقوي/الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين/ص ١٤ . (٨٢) قارن تواريخ مقالات القصائد الجاهلية مع مقالات القصائد الاموية في هامش الصفحة الاولى من كل مقال ، وسوف يقين لك هذا . (٨٣) ص/٦٠ .

(٨٤) انظر أيضا د. ناصر الدين الأسد/ص ٢٥٢/ ١٠٠ .

(٨٥) انظر د. ناصر الدين الأسد/الموضع نفسه .

عن يمثل الشعراء والعرافون الذين سبقوا مصدا (عليه الصلاة والسلام) مرحلة من التعليم ارتقى . من هنا ، وبناء على التسلسل الطبيعي ، يبدو أن أسلوب القرآن يتوسط بين الشخصيات السانحة التي كانت تؤخذ في جزيرة العرب على أنها نظم للشعر وبين تلك القصائد المصنوعة الى حجب كبير التي نقابلها في العصر الأموي . ويترتب على ذلك أن الشعر الجاهلي أيضا ، ذلك الشعر الذي ينتمي ظاهريا الى عصر النبي والخلفاء الراشدين هو شعر موضوع . . . الخ » (٨٦) ، أى أن طه حسين لم يسبق له قبل العام الدراسي ٢٥ — ١٩٢٦ أن شغله الشعر الجاهلي ، على عكس مرجليوث الذي كانت بذور نظريته موجودة في ذهنه بحيث أنه كلما تناول موضوعا متصلا بالشعر الجاهلي نبتت من هذه البذور أعشاب . وما أن انتصف عام ١٩٢٥ حتى رأى المتابعون للدراسات الاستشرافية (ولا شك عندي أن طه حسين بوصفه واحدا من هؤلاء المتابعين قد رأى معهم) هذه الأعشاب قد تكاثرت وانتشرت واستطالت سيقانها وأصبحت نظرية مفصلة تقع في أكثر من ثلاثين صفحة من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في ذلك الحين (وهو ما يقابل ثلث كتابه « في الشعر الجاهلي » تقريبا ، لأن هذه الصفحة تساوي صفتين أو أقل قليلا من صفحات هذا الكتاب) ، بل إنى أرجح أن الدكتور طه كان على علم بهذه النظرية في مرحلتها الجنينية ، فقد كان متصلا ببيئة المستشرقين في فرنسا وبعد عودته منها ، والمستشرقون عالم متصل ببعضه ببعض اتصالا وثيقا ، عن طريق الندوات والمؤتمرات والمراسلات والدوريات وتهادى الكتب ، الى جانب العلاقات الشخصية والزيارات . وليس من المعقول أن مرجليوث لم يكن يتكلم مع زملائه وأصدقائه من المستشرقين شفاها أو كتابة عن نظريته هذه بشيء من التفصيل ، ولو ليسألهم العون أو على الأقل ليستأنس بأرائهم ، بل أغلب الظن أنه كان يحاضر فيها طلابه في جامعة

(٨٦) انظر د. ناصر الدين الأسد/الموضع السابق حيث يشير الى موضع

هذا النص ، ولكنه لا يورده .

الكسفورد ، بل أن من الجائز جدا أن يكون مرجليوث قد أتم مقالته المذكورة قبل يولية ١٩٢٥ (تاريخ صدورها) بوقت (طويل أو قصير) . اذ ليس شرطاً أن ينشر الكاتب انتاجه بمجرد الفراغ منه . واغلب الظن أيضاً أن اصدااء من هذا كله كانت تبلغ أذن طه حسين .

وثمة سبب آخر جد هام يجعلنى استبعد عدم اطلاع طه حسين على بحث مرجليوث وتأثره به ، وهو أن الدواعى التى يلتفتان عليها فى الشك فى الشعر الجاهلى ليست مما يدخل فى باب « توارد الخواطر » ، بل تحتاج الى ذهن مركب تركيبة خاصة كذهن مرجليوث ، الذى كان يتشكك فى كل شيء يتصل بالاسلام والادب العربى ، ولذلك ما كان يقع على الحبة حتى يجعل منها قبة . فاذا قال القدماء ان فى الشعر الجاهلى قصائد منحولة جاء هو وقال : بل كله منحول ، وهكذا . كذلك فان ما خالف به الدكتور طه حسين مرجليوث فى اصل فكرته ، اعنى استثناءه من شكه بعض الشعر الجاهلى ، هو شيء جد ضئيل لا يؤبه به . وعلاوة على ذلك فان قيمة هذا الجزء من فكرة طه حسين ، بنص كلام مرجليوث ، الذى يعده بعض الباحثين « صك غفران » لطله حسين (ناسين أن البابا الذى أصدره هو باب ائيم لا ثقة فى احكامه ، فضلاً عن أنه لاحق له اصلاً فى اصداارها) « قد اهتزت الى حد ما ، بتاكيد المؤلف أن كثيراً من الشعر المنسوب الى هؤلاء الشعراء شعر موضوع ، وملاحظة أن القصة الوحيدة الباقية عن اوس من صنع خيال سقيم ، وأن الرواة الذين وصل الينا عن طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم (كذا) وبين آخرهم زمن طويل ، ولذلك فان جزء النقض لا يعنى الجزء الذى يوافق فيه مرجليوث (لا يزال اقوى اجزاء الكتاب » .

(٨٧) د. ابراهيم عبد الرحمن / الى خصوم طه حسين ومؤيديه . النص الكامل لمقالة مرجليوث فى « مرآة حبيب الادب العربى / احرام الجملة » ١٩٨٦/٢/٧ .

والحقيقة أن طه حسين في هذا الجزء لم يقدم شيئا يدخل العقل ويبدو متناقضا مع نفسه ، أي أنه حين يتبعد عن مرجليوث لا يستطيع أن يصنع شيئا ، مما يدل على أنه قد استقى فكرته الأساسية وكثيرا من تفصيلاتها من هذا المستشرق .

أما انكاء الصحفي سامح كريم على ما نسبته الى الدكتور حسين نصار من أن طه حسين لم يكن يعرف الانجليزية ، ومن ثم فانه لم يترجم ما في مقالة مرجليوث ويتأثر بها فهو آخر شيء يمكن أن يتوقعه الباحث (٨٨) . وأقول ما يوصف به هذا الدفاع هو أنه هزل ليس بالجد ، إذ من قال ان الانسان لا يستطيع أن يعرف شيئا إلا اذا كان على علم باللغة التي كتب بها ذلك الشيء ؟ ان معظم الناس يعرفون أشياء كثيرة من آداب الأمم المختلفة وأفكارها وهم لا يعرفون الالفة قومهم . وليس شرطا أن يكون ذلك عن طريق الترجمة ، بل ما أكثر أن يتم طريق العرض والتلخيص مثلا ، وقد يكون ذلك شفويا (في ندوة أو محادثة ... الخ) . ثم انى أسأل سؤالا واحدا : وهل كان الرافعي يعرف الانجليزية ؟ والجواب بالطبع : كلا . انكر اذن معرفته بمقالة مرجليوث ومضمونها ؟ ان الرجل قد أخبرنا أن يعقوب صروف قد أخبره بخبر هذه المقالة وأطلعه على ما فيها من آراء . وقد سلف أن قلت ان هذه امانة علمية من الرجل . وأضيف هنا أن هذه الامانة قد حرم منها ، فيما يبدو ، بعض الناس الذين تشير الدلائل الى أنهم قد عرفوا مقالة مرجليوث وما فيها ومع ذلك ينكرون وينكر أولياؤهم ذلك إنكارا شديدا .

هل استوحى طه حسين نظريته في الشعر الجاهلي من رينان

أن عبد الرشيد الصادق يسوق لنا رد طه حسين على السؤال التالي الذي بعث به طاهر مفتاح ، الباحث التونسي : « يميل بعض المستشرقين عن غير حق في رأيي ، الى أن يلتمسوا مصادر « في الشعر الجاهلي » في الدراسة التي كتبها مرجليوث عن الشعر القديم ، بدلا من أن يلتمسوها في الأدب الفرنسي ، فما رأيك انت » (٨٩) ؟ وقبل أن أورد رد الدكتور طه حسين انبه القارئ إلى الطريقة المضحكة التي وضع بها الباحث التونسي سؤاله . انه بعد أن « يكتف » طه حسين بالمبادرة بقوله انه لا يعتقد صحة اخذه ذكره مرجليوث ، يتظاهر بأنه يريد أن يعرف الحقيقة منه . وهل يعقل أن يعترف طه حسين على نفسه ويهدم مجده ويعطى خصومه سلاحا يحاربوه به ، وبخاصة أمام مثل هذا الولي المتحمس الذي أصدر حكم البراءة قبل جلسة المحكمة ؟ هل يظن طاهر مفتاح أننا يمكن أن نتوقع أن يدق طه حسين بيده مسامرا في نعش شهرته ؟ أما بالنسبة لسامح كريم وغيره ، الذين يرون أن مرجليوث قد أصدر وثيقة البراءة القاطعة لطه حسين ، فاني أقول : وماذا تفعلون في المارجوليثين (أقصد « المستشرقين ») الآخرين الذين ذكر طاهر مفتاح أنهم يلتمسون مصادر طه حسين في مقالة مرجليوث ؟ ومع ذلك فإننا لا نعتمد إلا على منطق الوقائع التاريخية الثابتة وطبيعة الأمور وسياقها والمقابلة بين النصوص .

والآن انقل للقارئ رد طه حسين ، الذي لم يكن أمامه (على ما وضعنا) غيره . قال : « ان المستشرقين الذين يعتقدون أنني تأثرت بمرجليوث عندما كتبت « في الشعر الجاهلي » مخطئون بالتأكيد ، فأننا لم اقرا دراسة مرجليوث الا بعد سنة من صدور كتابي » . ايا ما يكن الامر فطه حسين ليس بالذي يعلو

(٨٩) من مقالة عبد الرشيد الصادق/ في ذكرى رحيل طه حسين (٢) .
العميد ومرجليوث ونصل الخطاب/ اهرام الجمعة ١١/٧/١٩٨٦ .

كلامه على المناقشة ، فما اكثر ما قال ثم تنكر لما قاله ! وعلى كل حال فمن قال ان عدم قراءته الكتاب (لو صح ما قاله) تمنع ان يتأثر بما فيه ؟ لقد عرف الراقى مثلا مضمون الكتاب نفسه من غير ان يقرأه . هذا ، ولا يفوتنى هذا ان ابين شهاقت منطوق من احتجوا بجهل طه حسين بالانجليزية بان اسألهم السؤال التالي : وكيف استطاع طه حسين ان يقرأ هذه الدراسة ، كما يقول ، بعد سنة من صدور كتابه ؟ اترأه قد اتقن الانجليزية في هذه المدة ؟

ولكن عبد الرشيد الصادق يتجاهل هذه الصلة الواضحة بين مقالة مرجليوث وكتاب الدكتور طه ويحاول ان يقنعنا ان طه حسين انما استمد فكرته من رينان . وهو حين يفعل ذلك لا يعتمد على هذه الشبهة المضحكة التي ظن سامح كريم انها شيء ، وما هي بشيء ! شبهة جهل طه حسين بالانجليزية ، فعبد الرشيد صادق ليس مجرد ملخص لما يقوله بعض الآخرين ، شأن سامح كريم ، بل يطمح الى ان يأتى بفرض جديد .

والفرض الذى يقدمه عبد الرشيد الصادق يتلخص فى : ان طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث قبل ان يكتب كتابه « فى الشعر الجاهلى » بل بعدها بعام ، وان خطة بحثه تختلف عن خطة مرجليوث ، وان الداليل اللذين اعتمد عليهما (فيما اعتمد عليه) مرجليوث ، وهما الدليل اللغوى والدليل الدينى ، كانا معروفين للمستشرقين الذين تناولوا هذا الموضوع قبل هذا المستشرق الانجليزى ، وان طه حسين بالنسبة لهذين الدليلين قد تأثر برينان .

هذا هو الفرض الذى عرضه عبد الرشيد الصادق واراد اثباته على مدى ثلاثة اسابيع فى الصفحة الادبية باهرام جمع ٣١/١٠/١٩٨٦ و ٧/١١/١٩٨٦ . وستتناول بالمناقشة عناصر هذا الفرض عنصرا عنصرا .

فاما بالنسبة للعنصر الاول ، وهو ان طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث الا بعد ان فرغ من كتابه بعام ، فقد ساق الباحث قول طه حسين المتضمن هذا المعنى ، والذى ناقشناه قبل قليل ، وانتهينا الى انه موضع

شك كبير ، بل وجعنا فيه ابلغ رد على هؤلاء الذين اعتدوا على جهله
بالانجليزية في نفى تاثره ببحث مرجليوث . وعلى هذا فاشي لا اجد داعيا الى
اعادة تنفيذه هنا . بيد ان عبد الرشيد المصادق لا يكتفى بهذا الدليل بل
يستشهد قبل ذلك بخطاب اوردته السيدة زوجة الدكتور طه حسين في كتابها
عن ذكرياتها معه وقالت انه ارسله اليها اثناء تأليفه الكتاب . وهذا نصه :
« منذ الامس لم اكف عن العمل الا من اجل ان اطعم واثام . اننى متعب
قليلا ، لكنى سعيد جدا . انك تعرفين هذا النوع من الرضا الذى يعقب
القيام بالواجب ، وذلك الشعور بأن المرء على مستوى الرسالة التى كلف
بها برغم المصاعب التى يواجهها . لا احدى ان كان الطلبة يفهموننى ، لكنى
كنت سعيدا وانا التى درسى قبل قليل ، مباحثى الشخصية تصل بى الى
نتائج كبار المستشرقين نفسها . اقدرين اننى قررت الا اقرأ ابائهم الا بعد
ان انجز ابائى لى اكون على علم بها فقط ؟ » (٩٠) .

والحقيقة أننا فى الظروف الحالية لا نستطيع ان نتأكد من صحة هذا
الخطاب أو زيفه عن طريق فحص الورق والحبر والخط الذى كتب به
ومقارنته بخط الشخص الذى تنسب اليه كتابته ، اذ ليس هذا الخطاب بين
أيدينا . ولا يصح ان يقال ان علينا ان نقبل كلام السيدة زوجة الدكتور طه
حسين دونما مناقشة ، فان البحث العلمى لا يعرف هذه الاعتبارات . واذا
كنت قد وضعت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام واقواله بل تاريخه
كله ، وهو من هو ، تحت مجهر البحث العقلى المجرد فى كتاب لى صدر من
قبل (٩١) ، فلا اظن ان القارئ يتوقع منى ان آخذ كلام السيدة المذكورة مأخذ
السليم لمجرد أنها قالت ، وبخاصة ان فى كتابها ما يجعلنى اتردد كثيرا فى
التسليم بما تقول فى مثل هذه القضايا . ولن اذهب بعيدا ، ففى الصفحة
السابقة على تلك التى ورد فيها نص الرسالة السابقة تتحدث عن المسائس

والمؤامرات ضد طه حسين في الجامعة ومخالفة القانون من أجل الكيد له وحرمانه من الدرجة والمرتبة اللذين يستحقهما ، وكذلك عن عجز ظروف طه حسين عن تأمين مورد ثابت له ولاسرته . ووجه الشك في هذا الكلام ان طه حسين بعد أشهر فقط من هذا التاريخ كان يقضى اجازة الصيف ، كما هي عادته ، في فرنسا ، فهل يمكن ان يقوم بهذه الرحلة ، فضلا عن أن يفكر فيها ، رب أسرة يعجز عن توفير مورد ثابت لها ؟ بل ماذا تفعل الجنيئات القليلة التي كان يقبضها من الجامعة والصحف التي يكتب لها في مواجهة رحلة مثل هذه ، زائد الإقامة طوال الصيف في بلد كفرنسا مستوى المعيشة فيه مرتفع بمالا يقاس بمصر في ذلك الحين ؟ ثم هل يسهل أن نصدق أن طه حسين وكان لا يزال في أول الطريق في الجامعة في ذلك الوقت ، طه حسين الذي كان وراء استقدام كازانوفا ، بما يعنى أنه ذو نفوذ في الجامعة يمكنه أن يستقدم من يريد من المستشرقين ليحاضروا في الجامعة ، طه حسين الذي لم يستطع أحد أن يمسسه في ذلك الحين حين ثارت زوابع قضية الشعر الجاهلي لوقوف الجامعة ومدير الجامعة ورئيس الوزراء وراءه ، بل طه حسين الذي نص بشأنه هو وحده من بين الأساتذة الآخرين ، في عقد تحويل الجامعة من اهلية الى حكومية ، على أن يتحول معها ولا يمس كانه جزء لا يتجزأ من الجامعة ، طه حسين هذا تحاك له المؤامرات في الجامعة ، وفيها أصدقاؤه من المستشرقين والأساتذة الأجانب كما نعرف (٩٢) ؟ ثم ان تعصب هذه السيدة الشديد والخالى من أصول اللياقة ضد كل من رد على زوجها في هذه المسألة التي ليست من اختصاصها وكان ينبغي ألا تزج بنفسها فيها يجعلنا نستقبل كل ما تقوله في هذا الأمر بحذر شديد . لقد بلغ من تعصبها انها وصفت الجاهير المصرية بالجهل والتعصب . وهما نفس الوصفين اللذين أنجفت بهما علماء الدين المسلمين والكتاب وأعضاء البرلمان الذين استنكروا اقوال زوجها الطاعنة في الدين

(٩٢) انظر « معك » ص ٧٤ .

وفي الشعر الجاهلي (٩٣) ، على حين تصور الأوروبيين والقساوسة كأنهم ملائكة ذوو أجنحة بيضاء . ليس هذا فقط ، بل ائنا نلاحظ أن طه حسين يتحدث لزوجته في الخطاب المذكور عن محاضراته في الجامعة كأنها شيء لا علم لها به ، مع أن زوجته كانت في أبي قير، أي داخل مصر . يعنى لم تغب عنه إلا أياما ، بما يفيد أنها لا شك كانت على علم بهذه المحاضرات ، التي يقول زوجها لها انه لا يعرف اي فهمها الطلبة ام لا ؟ . وهذا يقودنا الى السؤال التالي : وهل ما قاله طه حسين في الشعر الجاهلي من الصعوبة بحيث لا يمكن أن يفهمه طلبته ؟ وهل يمكننا أن نصدق أن أحدا من الطلبة ، واحدا فقط ، لم يناقش طه حسين ، ولا نقول يخطئه ، في آرائه عن هذا الشعر حتى لا يعرف طه حسين اي فهمه الطلبة ام لا ؟ فأي ذهب محمود شاكر ، وكان من طلبته في ذلك العام ، وقد ناقشه أكثر من مرة بل اعترض عليه ، في داخل المحاضرة وخارجها ، ولم تنحصر هذه المناقشات والاعتراضات فيما بين الطالب (وزملائه ايضا طبعا) وبين الأستاذ ، بل امتدت حتى دخل فيها بعض المستشرقين مثل نلينو وجويدى (٩٤) ؟ ثم أن الخطاب بلا تاريخ محدد ، فكيف فأت هذا السيدة المذكورة ، وهى أوربية تعرف قيمة التواريخ بالنسبة للرسائل والمذكرات ؟

ومع ذلك كله (وقد نكون أخطأنا في بعضه ، بسبب عدم التحديد الذي يتشع به كل من الخطاب والظروف التي قيل انه كتب فيها) فسوف نسلم به وبما جاء فيه ، فما الذى وجده فيه عبد الرشيد الصادق مما ينقى معرفة طه حسين بمقالة مرجليوث الا بعد أن بلغ في محاضراته عن الشعر الجاهلي مرحلة متقدمة كما يقول ؟ قبل أن اجيب على هذا السؤال أحب أن ابين للقارئ كيف أن هذا الباحث يتناقض من مقال لآخر . انه يقول هنا ان طه

(٩٣) المرجع السابق/ص ٥٨ ، ٧٨ .

(٩٤) انظر هذه القصة في كتاب الأستاذ شاكر/المتنبى/ السفر الأول/

حسين قد اتاه نبا مقالة مرجليوث وقد بلغ من محاضراته مرحلة متقدمة (وقد حدد تاريخ هذه المحاضرات بعد سطور بالعام الدراسي ٢٥ — ١٩٢٦) ، ولكنه في المقالة التالية يقول : « ان العميد كان يلقى محاضراته قبل عام على الأقل من اصدار الكتاب ، اضافة الى اقوال مرجليوث نفسه التى تؤكد سبق صدور كتاب طه حسين على صدور كتاب « المستشرق » (٩٥) . فكيف بالله يتسق قوله ان نبا مقالة مرجليوث قد اتى طه حسين وهو يلقى محاضراته في الشعر الجاهلى في عام ٢٥ — ١٩٢٦ (اى لأول مرة ، لانه قبل ذلك كان يحاضر في التاريخ اليونانى والرومانى) مع قوله بعد اسبوع واحد ان طه حسين كان قد حاضر في موضوع الشعر الجاهلى عاما على الأقل من قبل ؟ (الحمد لله على كل حال ان هبط بالفرق عاما (وان تحفظ بقوله « على الأقل ») بعد ان كان الدكتور ابراهيم عبد الرحمن قد جعله عاما بعد عام ، اى عدة اعوام) . بل ان الباحث تبلغ به الجراة ان يقول في ثقة يحسد عليها ان كتاب طه حسين قد ظهر قبل (كتاب) مرجليوث بعام باعتراف مرجليوث نفسه . والواقع ان هذا اضطراب شنيع وجدال عقيم مزعج يتنافيان مع اوليات المنهج العلمى وامانة القلم . فاولا ، لم يحدث ان قال مرجليوث ان كتاب طه حسين قد صدر قبل « كتابه » (ودعنا من تسمية « مقالة » مرجليوث كتابا) ، بل كل ما قاله بنص ترجمة الدكتور ابراهيم عبد الرحمن لتعليق مرجليوث على كتاب « فى الادب الجاهلى » لطه حسين ، ذلك التعليق الذى ادار عليه سامح كريم جانبا كبيرا من مقالة له فى نفس الصفحة الادبية ، بأهرام الجمعة ١٧/١/١٩٨٦ (اى قبل مقالة عبد الرشيد الصادق ، الذى تحتفى به هذه الصفحة جدا بما يعنى انه على اتصال بها وثيق بنحو عشرة اشهر) ان « البحث الذى اتمه صاحب هذا المقال (مرجليوث) عن اصول الشعر العربى . . . نشر فى نفس الوقت الذى نشر فيه طه حسين كتابه » . وقد سبق ان بينا بالدليل القاطع الذى لا يمكن ان يرد ان هذا المستشرق كذاب

كذاب كذاب ، لأن فرق عشرة اشهر لا يقال عنه انه «نفس الوقت» فكيف بمن يقول ان مرجليوث قد ذكر ان كتاب طه حسين قد صدر قبل مقالته ؟ (حتى لا ينسى القارئ اكرر ان مقالة مرجليوث ظهرت في اول يولية ١٩٢٥ على حين ظهر كتاب طه حسين في ابريل (على الاقل) ١٩٢٦) . فهذه واحدة . اما الثانية فهي قول عبد الرشيد الصادق « انه يستدل من رسالة طه حسين الى زوجته ان نبأ دراسة مرجليوث قد جاءه وقد بلغ في محاضراته مرحلة متقدمة ، واجتمع له من النتائج ما يمكن ان تقارن بنتائج «كبار المستشرقين» (٩٦) . وارجو من القارئ ان يرجع الى الرسالة ، وقد اوردناها قبل قليل ، ليرى بنفسه ايمكن الاستدلال على هذا منها ام لا . ان الرسالة لا تقول شيئا من هذا الا لمن يلويها عن طريقها الى الطريق الذي يقصرها على السير فيه .

ان عبارة الرسالة هي : « فأبحاثى الشخصية تصل بى الى نتائج كبار المستشرقين نفسها » ، فهل فى هذه العبارة ما « يستدل منه ان نبأ دراسة مرجليوث قد جاءه وقد بلغ فى محاضراته مرحلة متقدمة » ؟ بالطبع كلا ثم كلا . وحتى لو افترضنا ان ما فهمه الباحث صحيح ، ايدرى ماذا يترتب على ذلك ؟ انه يترتب عليه ان طه حسين حين قال انه لم يقرأ دراسة مرجليوث الا بعدها بعام لم يكن امينا ، لانه كان ينبغى عليه ان يضيف انه مع ذلك قد عرف بنيتها وبما تحتويه اثناء محاضراته وقبل ان يكتب كتابه (او على الاقل ، قبل ان يصدره) ، وهذا يدفعنا الى مزيد من الشك فى اقواله . اما فهمى انا فهو انه هنا يشير الى مقالة مرجليوث ، التى قد بينت قبلا ان من الصعب جدا الا تكون قد وصلت ، بعد ان وصلت الى احمد تيمور باشا ويعتوب صروفاً ، اللذين لم يشأ اى منهما ان يحتج مغرفة ما فيها لنفسه ، فأعطاهما الاول للطالب محمود شاكر ليقراها ، واطلع الثانى الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله على محتواها . ومن المؤكد انهما لم يكتفيا باخبار شاكر والرافعى بل

فعلا ذلك مع كثيرين غيرها ، وهذان فعلا الشيء ذاته مع آخرين ، وهكذا . وكيف يمكن الا تكون قد وصلت طه حسين مقالة مرجليوث وقد كان معروفا من قبل أنه سيدرس الادب العربي (والجاهلى بالذات) فى العام التالى ؟ فهل يعقل أن المستشرقين الذين كانوا على صلة وثيقة به والذين يستحيل ألا تكون المجلة قد وصلت اليهم (على ما بينا سابقا) لم يخبروه بها وبمحتواها ؟ اذن ففيم كانوا يتحدثون فى الكلية وفى بيته ان لم يكونوا يتحدثون فى هذه المسائل ؟

وبالنسبة فقد كان مرجليوث هو رئيس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (٩٧) . أقول هذا فقد يلقى الضوء على عبارة « كبار المستشرقين » ، التى استعملها طه حسين فى خطابه الذى ذكرت زوجته أنه أرسله اليها . وطه حسين ، ان صح أنه كاتب هذه الرسالة ، يقصد بعبارته تلك أنه قد وجد نفسه قد انتهى الى النتائج التى اطلع عليها من قبل لمرجليوث ، بمعنى أنه به أن قرئت عليه المقالة لم يشأ أن يستعين بها فى بحثه ، وفضل أن يبدأ من البداية ، فاذا عقله يقوده الى نتائج مرجليوث (مع بعض الاختلافات غير الأساسية ، كما مرقونه) . هذه هى الامراء السخيف بهذه العبارة . وهى على اى حال لا يمكن أن تشير الى رينان ، الذى يفترض عبد الرشيد الصادق أنه هو منبع فكرة طه حسين عن الشعر الجاهلى . لماذا ؟ لأن طه حسين لو كان يقصد رينان بذلك لقال هذا لفتح طاهر ، الذى سألته عن الشخص الذى تأثر به فى شكه فى الشعر الجاهلى ، فقال انهما الاخوان بكروازيه مؤرخا الادب اليونانى ، فان مثل هذه المسائل لا تنسى أبدا (٩٨) . على أن ثمة سببا آخر يجعلنى استبعد أن يكون طه حسين قد قصد رينان بقوله

(٩٧) انظر نجيب العتيقى/المستشرقون/ج٢/ص ٧٧ ، ود. محمد مصطفى هدارة / قضية الشك فى التراث الجاهلى . مرجليوث وطه حسين وعبد الرحمن بدوى/أهرام الجمعة/٣/١/١٩٨٦ .

(٩٨) انظر عبد الرشيد الصادق/الهميد ومرجليوث وفصل الخطاب/أهرام الجمعة ٧/١١/١٩٨٦ .

« كبار المستشرقين » . هذا السبب هو أن رينان لم يفتحه الى هذه النتائج ، بل بالعكس كان هذا المستشرق يؤمن بصحة الشعر الجاهلى ايمانا شديدا (٩٩) . وسوف نناقش هذه النقطة بشئ من التفصيل فيما بعد . وهكذا يرى القارئ أن كل الطرق مسدودة أمام مثل هذه المحاولات . كذلك فإن طه حسين ، فيما أعلم ، لم يذكر رينان فى كتاباته حتى ذلك التاريخ ، بل لم يرد لهذا المستشرق ذكر فى الجزء الثالث من « الأيام » حيث ذكر طه حسين أسماء مؤلفين كثيرين من الذين قرأهم مع خطيبته « وزوجته فيما بعد » ، ولا حتى فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وهو ما يوحى (على الأقل) بأن رينان ليست له فى فكر طه حسين تلك الأهمية التى يخلعها عليه عبد الرشيد الصادق . وأحب أن أقف قليلا عند قول الباحث هنا : « فاذا أراد خصوم طه حسين أن يواصلوا الجدل بعد هذه النقطة (يقصد استدلاله الذى ناقشناه آنفا) فعليه أن يكذبوا طه حسين ، وأن يفترضوا أنه قد قرأ دراسة مرجليوث مترجمة أو ملخصة بالعربية فى الوقت المناسب للتأثر بها (أى فى الفترة الواقعة بين وصول المقالة الى مصر وبدايات العام الدراسى ٢٥ - ١٩٢٦) . فاذا اتبعوا هذا الطريق واجهناهم بما يهدم كل دعاواهم » (١٠٠) . وإننى فى الحقيقة لا أدرى أهذا تهديد أم إحراج أم ماذا ؟ أن كان يقصد بذلك أنه سيذكر رد الدكتور طه حسين على مفتاح طاهر الذى ذكرناه آنفا فقد قلنا رأينا فيه . أما أن كان يريد أن يقول أنه يحتفظ بورقة فى يده سيلعبها عند اللزوم حينما يندفع خصوم طه حسين (والحمد لله ، الذى لم يجعلنى سبحانه واحدا منهم) بعناد وتهور معلنين أنهم يكذبون طه حسين ، فإن هذا ليس من المنهج العلمى فى شئ ، لأننا فى العلم لا ندير المؤامرات

(٩٩) انظر عبد الرشيد الصادق/العبيد ومرجليوث والنقد الحديث/

أهرام الجمعة ٣١/١٠/١٩٨٦ .

(١٠٠) العبيد ومرجليوث وطه حسين/الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة

٧/١١/١٩٨٦ .

لبعضنا البعض ، بل نتعاون معا في سبيل نشدان الحقيقة . وأنا عن نفسي أعلن للمرة الثالثة على الأقل في هذا البحث (وهو ما اقله دائما في كل بحوثي) اننى بشر اصيب واخطىء ، وأن من الممكن أن تكون أشياء قد غابت عنى ، ومن الممكن اذا ظهرت أن تغير بعض آرائى أو كلها . وبرغم هذا فانى أعلن كذلك (للمرة الثالثة أيضا ؟ لا أذكر) أن تصريحات طه حسين ليست لها عصمة ولا قداسة . وانما هى كلام قابل للدرس والفحص ، ويجوز عليه الصدق والكذب . ولا اظن أن هذا يغضب أى عاقل منصف . وهو نفسه قد شك ، في كتابه الذى يدور عليه بحثنا ، شكاً عاصفاً في الشعر الجاهلى بل أعلن أنه لا يبالى بأقدس مقدساتنا نحن المسلمين ، ومع ذلك فقد قلت بصراحة لا مواربة فيها أن هذا حقّه (بغض النظر عن دوافعه) . بأختصار اذا كان عند هذا الباحث شيء لم يذكره ويخبئه ليخرج به من سماهم خصوم طه حسين فقد كان ينبغى عليه ألا يفعل ذلك . ولا تزال أمامه الفرصة ليعرض علينا ، نحن الباحثين عن الحقيقة (لأنّ خصوم طه حسين ، فلسيت خصمه وانما أنا خصم الباطل) . والى أن يفعل (أن لم يكن قد فعل ، بإشارته الى رد طه حسين على مفتاح ظاهر) أرانى لا أجد أمامى إلا أن اتمسك بكل آرائى ومواقفى تجاه ما قاله هو أو قاله الدكتور طه حسين .

ولكى أعطى القارئ فكرة عن حقيقة تصريحات طه حسين ومدى اهليتها للثقة أذكر له أنه قال في رسالته لزوجته (أن كان قد كتبها فعلا إليها) : « اننى قررت ألا أقرأ أبحاثهم (أى أبحاث المستشرقين) إلا بعد أن أنجز أبحاثى لكى أكون على علم بها فقط » (١) . وبغض النظر عن اتى لا أنهم أن يحرص طه حسين على أخبار زوجته في خطابه بقرار كهذا كأنه من الأسرار الملحة التى لا يستطيع أن يؤجلها حتى تعود من

(١) العميد ومرجليوث وطه حسين / المصححة الأدبية بإهram الجمعة

أبى تير ، ورغم أن مثل هذا القرار يجافى منهج البحث ، الذى يستلزم أن يلم الباحث بكل ما يمكن أن يضع يده عليه من دراسات سابقة ، لأن المسألة مسألة تعاون لا مسألة كبرياء شخصية ، فأتى الفت نظر القارئ الى أن طه حسين فى أول كتاب كتبه بعد هذه الرسالة (وهو كتاب « فى الشعر الجاهلى » قد ألفى ، فيما يبدو هذا القرار الخطير (أم تسيه ؟ أم سها عنه ؟) رغم أنه لم يكن قد مر على اتخاذه وقت يذكر ، إذ أنه فى فصل « الدين وانتحال الشعر » من هذا الكتاب قد لخص بحث كليان هوار فى المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤) الذى تحدث فيه عن أمية بن الصلت واستمداد القرآن من شعره (٢) . كذلك ففى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، التى سميت « فى الادب الجاهلى » نراه يستشهد ببحث للمستشرق أغناطيوس جويدى بالعربية واللاتينية عن اللغة العربية الجنوبية القديمة (٣) . فما القول فى هذا ؟ أترى عدم التزامه بهذا القرار الخطير أمرا عارضا ؟ إذن فاعلم (وهذا مجرد مثال) أنه فى سنة ١٩٣٧ حين وضع كتابه « مع المتنبى » لم يبال أيضا بهذا القرار ، فقد رجس الى كتابى بلاشير وما سينيون عن المتنبى وكتاب هذا الآخر عن الحلاج (٤) ، بالإضافة الى أنه أخذ نظرية بلاشير فى قرمطية المتنبى وبنى عليها كتابه . هذا من ناحية القرار . على أن فى كتاب « مع المتنبى » دليلا آخر على ما كررته فى بحثى هذا من أن كلامه عندى ليس أهلا لكبر ثقة . كيف ؟

(٢) انظر الشعر الجاهلى / ص ٨٢ ، ٨٥ .

(٣) انظر فى الادب الجاهلى / ص ٨١ ، فى الهامش .

(٤) انظر هوامش صفحات ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٧ ، ٢٦٩ .

٢٧١ / ج ١ من هذا الكتاب .

اسمع أولا ما يقوله د . طه عما طلبه من كاتبه وهو يتأهب للسفر مع أسرته الى فرنسا ، كعادته كل صيف تقريبا .

« طلبت الى صاحبي حين كان يجمع ما ينبغي أن يحمله من الكتب ألا ينسى ديوان المتنبي . ولم اطلب اليه أن يحمل ديوانا آخر من دواوين الشعر القديم او الحديث ، وانما طلبت ديوان المتنبي وحده ، واراد صاحبي أن يحمل ما في مكتبي من الشروح التي كتبها القدماء والمحدثون يفسرون بها هذا الديوان ، فأبيت عليه هذا كله ، وتقدمت اليه في أن يكتفى بأيسر طبعة من طبعات المتنبي ، لأنني لا أريد درسا ولا بحثا وانما أريد صحبة ومرافقة ليس غير » (٥) .

ان هذا ليس موضع ابداء الراى في دراسة طه حسين هذه عن المتنبي ، فقد تكفل بذلك كتابي عن حياة الشاعر وشخصيته ، ولكن الذي أريد أن أقوله هو أن كتاب طه حسين ، برغم ما قاله عن انه لم يأخذ معه الا ايسر طبعة من ديوان المتنبي لأنه لا يريد بحثا ولا درسا ، يعتلىء بالمراجع القديمة والحديثة عن المتنبي وشعره . وليرجع من شاء الى الكتاب ، وسوف ينفغرفاه دهشا . وثمة سبب آخر ينفي عبد الرشيد الصادق بناء عليه أن يكون طه حسين قد اخذ فكرة كتابه من مرجليوث . وهذا السبب هو انه يحصر الاتفاق بين الدكتور طه حسين والمستشرق الانجليزى ، في « الدليل اللغوى ودليل المحتوى الدينى » ويؤكد أن هذين الدليلين ليسا من ابتداع مرجليوث ولكنهما من قبيل الافكار الشائعة في كتابات المستشرقين الذين تناولوا الشعر الجاهلى في القرن التاسع عشر واولئ القرن العشرين . وذلك بالاضافة الى قوله انه ليس صحيحا أن هناك تطابقا تاما بين مرجليوث وطه حسين في هاتين النقطتين وأن ترتيب طه حسين لامكاره يختلف عن ترتيب

مرجيوث (٦) . وللدرد على ذلك نقول ان نقط الاتفاق بين طه حسين ومرجيوث لا تقتصر أبداً على هذين الدليلين . وقد بينا بالتفصيل قبل صفحات أن الأمر أوسع وأعمق من ذلك بما لا نرى معه حاجة الى إعادة القول فيه هنا ، اللهم إلا أن نشر ثانية الى أن أساسيات فكرة طه حسين وفكرة مرجيوث متشابهتان ، وأن ما أضافه طه حسين بعد ذلك لم يكن ليوجد لولا هذه الفكرة الأساسية . ثم هل تراني بحاجة الى أن أسوق رأي مرجيوث ، الذي نص نصا واضحا لا يقبل جدالا أو تأويلا أن « فكرة الكتاب مماثلة الى حد كبير للفكرة التي ادرت حولها بحثي عن أصول الشعر الجاهلي » ؟ انقل اتفق مع عبد الرشيد الصادق على أنه ليس هناك تطابق تام بين مقالة مرجيوث ومقالة طه حسين . ولكن هذا لا يعني أن طه حسين لم يأخذ فكرة الرجل ويصوغها بأسلوبه ويضيف اليها بعض النقاط الفرعية . اما مسألة الاختلاف في ترتيب نقاط البحث عند مرجيوث وطه حسين فهذه مسألة شكلية لا تقدم ولا تؤخر كثيرا .

وحتى لو سلمنا بأن المسألة محصورة في « الدليل اللغوي ودليل المحتوى الديني » فليس يعني كون هاتين الفكرتين تراثا مشتركا في كتابات المستشرقين السابقين على مرجيوث أن طه حسين لم يتأثر بهذا المستشرق وتأثر بمن قبله (وبالذات رينان ، كما يريدنا الباحث أن نصدق) . لماذا ؟ أولا ، لأن إشارة طه حسين في رسالته (ان سلمنا بها) لا يمكن أن تعني رينان ، كما شرحنا من قبل . وثانيا ، لأنه لو كان الأمر كذلك فلماذا لم يكتب طه حسين بحثه الا في أعقاب دراسة مرجيوث مع أن

بحوث رينان ونولدكه وغيرهما قد سبقت مقالة مرجليوث بوقت جسد طويل ؟ قد يجاب بأنه لم يتول تدريس الادب الجاهلى الا ذلك العام . ولكن ايمكن أن نزن أن طه حسين ، لو أن هذه الفكرة كانت فى ذهنه قبل مرجليوث ، كان سيصبر على كتمانها وهو الكاتب العزيز الانتاج الذى لا يطبق ان يكتم رأيا رآه حتى لو تراجع عنه بعد ذلك ؟ ثم لماذا كتب طه حسين فى الشعر الاموى والشعر العباسى قبل ذلك ولم يكتب فى الشعر الجاهلى لو كانت عنده هذه النظرية الخطيرة ؟ ولا يقولون معترض انه لم يكن قد كونها بعد ، والا فالسؤال هو : وكيف استطاع ان يكونها هكذا سريعا لو كانت من بنات افكاره ؟ (٧) ان طه حسين ، على كثرة ما كتب قبل سفره الى فرنسا وبعد عودته من بعثته الى الالف كتابه هذا لم يتعرض ، فيما نعلم ، لصحة الشعر الجاهلى فى شيء ، مع انه كانت هناك فرصة جد مفرية امامه لاثارة هذا الموضوع لو كان فى ذهنه اى شك فيها قبل ظهور مقالة مرجليوث . وهذه الفرصة هى ظهور « تاريخ آداب العرب » للرافعى ، فقد قرأه طه حسين ، وكان كل همه هو الزعم بأنه لم يفهم منه شيئا ، مع أن الرافعى قد عالج فى كتابه هذا تلك القضية باحاطة وتفصيل . وقد كان امام طه حسين الفرصة من سنة ١٩١١ « تاريخ ظهور كتاب الرافعى » الى ١٩٢٥ ليقول ما عنده فى الشعر الجاهلى لو كان عنده شيء . والعجيب ذو المفزى أن طه حسين ، الذى لم يفهم هذا الكتاب (وهو يقصد بذلك طبعا التقليل

(٧) انظر خاتمة كتاب طه حسين / مع المتنبي / ج ٢ وبالذات ص ٧٠٥ - ٧٠٦ حيث يبسط القول بعض الشيء فى ظروفه (فى مصر) التى تمنعه من التعمق فى البحث والدرس وتجعله يكتفى من ذلك بالهين اليسير ، لنذكر معنى قولى اكثر من مرة فى بحثى هذا انه قد كتب كتابه « فى الشعر الجاهلى » على عجل ، وبخاصة انه كان بين يديه او فى ذاكرته فكرة مرجليوث ، التى اخذها و اضاف اليها بعض الفرعيات وانتحلها .

من شأنه وشأن مؤلفه) يعود بعد ظهور مقالة مرجليوث ميثنى عليه وعلى صاحبه . وتفسير ذلك عندى هو أنه أراد أن يتخذ الرافعى ردها من ناحيتين : فمن ناحية أراد أن يقول لمن يعرف أنهم سيهبون لتفنيد رايه المتسم بالتهافت والغلو المجاوز لكل منطق : اننى لست وحدى الذى شك فى هذا الشعر فى عصرنا هذا ، بلّ هذا هو الرافعى المتحمس للقديم قد فعل ذلك قبلى . ومن ناحية ثانية ظن انه بالثناء على الرافعى سوف يخدره فلا يتناوله بالنقد والتسفيه . ولكن هذه الحيلة ، كما نعرف ، لم تجز على الرافعى ولا على غيره .

فاذا تذكرنا ما اشرنا اليه قبل ذلك من أن رينان لم يشك فى صحة الشعر الجاهلى بل كان على العكس يؤمن بها ايمانا شديدا وأن طه حسين لم يشر قط الى رينان تأكد لدينا أن محاولة الربط بينهما هى محاولة مقضى عليها بالفشل (٨) . أما قول عبد الرشيد الصادق أن دليلى اللغة والمحتوى الدينى قد نبه اليهما ريشان // وأن لم يرتب عليهما نفى الشعر الجاهلى) واخذهما عنه نولدكه ومرجليوث فهو يدل عندنا على تاثر طه حسين بهذا الأخير ، على اعتبار أنه آخر من كتب فى هذا الموضوع ، فان للجديد دويه الذى يلفت اليه الاسماع والابصار ويتسلط به على العقول وبخاصة أن مرجليوث هو اكبر من اثار هذه القضية فى كتاباته (٩) . علاوة على أن تشابه فكرة طه حسين مع فكرة مرجليوث اوضح وأبرز وأشمل ، لأنه لا يقتصر على الدليلين المذكورين . ومن جهة أخرى فان مرجليوث وطه حسين قد انتهيا الى الشك فى الشعر

(٨) - انظر فى ذلك مقالتي عبد الرشيد الصادق فى الصفحة الأدبية

فى اهرام الجيزة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .

(٩) انظر د. شوقي ضيف / العصر الجاهلى / من الشعر

الجاهلي « على عكس رينان » ، وان عم الاول شكه واستثنى الثانى من الشك بعض هذا الشعر (على غموض وضعف فى الأساس الذى بنى عليه الاستثناء ، كما سبق القول) .

كذلك فقد يدل على ان ثمة علاقة كانت بين طه حسين ومرجليوث قبل مقاله هذا الاخير ، بما يعنى ان طه حسين كان يتابع ما يكتب هذا المشرق ، ان الدكتور طه حسين لما ذهب الى «كسفورد بعد ظهور كتابه بعامين نزل هو واسرته ضيوفا على مرجليوث وزوجته ، التى اعتنت بطفله المريض آنذاك عناية كبيرة (١٠) ولو لم تكن بينهما علاقة قبل ذلك (وليس شرطاً ان تكون علاقة مقابلات وزيارات بل قد تكون علاقة فكر وتبادل آراء) لنزل طه حسين واسرته فى نزل بتلك المدينة او بمسكن من مساكن الجامعة هناك مثلاً ، فان التحفظ الانجليزى معروف وبخاصة تجاه الغرباء .

هل ترانا بعدنا عن الرافعى ونسيناه ؟ لا أخال ، بل منه ننتقل واليه نعود ، وكلا ننسى اذكر القارىء بأن الرافعى هو ، على قدر علمنا ، أول من اتهم طه حسين « كتابة » بالسرقة من مرجليوث . صحيح انه عاد فقال : ان أحدهم قد نبهه الى ان طه حسين قد أخذ فكرته من بعض مشرقى الألمان الذين أصدروا فى باريس كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » ، الا أن هذا لم يكن رجوعاً منه عن ربط طه حسين بمرجليوث ، فان فى كلامه عبارة توحى بأنه يقصد ان الفكرة كانت موجودة عند المستشرقين قبل مرجليوث . وهذا نص عبارته التى تعطى هذا المعنى : « ولكن أحد الفضلاء نبهنا الى انه قبل جحا (يقصد

مرجليوث (قد كان أبو دلامة (يقصد المستشرقين الألمان المشركين
اليهم) « (١١) . ولكيلا ننسى أيضا افكر القارئ بأن اتهام الرافعي
لطفه حسين لم يقتصر على الأخذ من مرجليوث ، بل شمل كليمان هوار
وغيره . وقد بينا في الصفحات السابقة الى اى حد يصدق هذا الاتهام
بما يدل على أن ما قاله الرافعي لم يكن كلاما في التهواء القاه على
عواهنه .

هل ما قاله طه حسين هو نفس ما قاله ابن سلام ؟

غير أن بعض من عالجوا من العرب هذه القضية في الآونة الأخيرة ، وهو الدكتور عبد الرحمن بدوى ، ادعى أن « النتائج التى انتهى إليها ابن سلام الجمى والأسباب التى ساقها لبيان منشأ الانتحال والتزييف والزيادة فى الشعر الجاهلى ... هى هى عينها النتائج والأسباب التى أوردها الدكتور طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » أو كتابه المعدل هذا . ثم عقب هذا البعض على ذلك متسائلا : فعلام اذن كل هذه الضجة الزائفة التى اثيرت حول هذا الكتاب حتى نعتوا صاحبه بما شاؤوا من النعوت ، فاتهموه بالمروق والتهجم على التراث العربى العريق ، والرغبة فى تحطيم أجاد العرب ، والانسحاق وراء « مؤامرات » المستشرقين (ولهذه الكلمة فى ذهن كل أو جل المشتغلين بالأدب العربى معان غريبة ممعنة فى التضليل والايهام والتهاول) . فهل كان ابن سلام الجمى (١٤٥ — ٢٣١ هـ) مستشرقا هو الآخر متأمرا على التراث ؟ » (١٢) .

والواقع أن هذه الكلمات على قلتها محشوة بالمغالطات الشنيعة ، فهل حقيقة أن لكلمة « المستشرقين » فى أذهان كل « المشتغلين » بالأدب العربى (وأن تراجع الكاتب فقال « أو جلهم ») معان غريبة ممعنة فى التضليل والايهام والتهاول ؟ إن كثيرا من المشتغلين بأدابنا للأسف يرددون آراء المستشرقين كالبيغاوات . والدكتور بدوى بحكم اتصاله ببيئات المستشرقين وأعجابه الشديد بهم يعرف هذا جيدا ، فكان عليه ألا يستخدم

(١٢) انظر د. هدارة / قضية الشك فى التراث الجاهلى // أهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ / الصفحة الأدبية .

« كل » ، وهو الدارس للفلسفة والمنطلق ، اللذين من شأنهما أن يعودا المتخصص فيهما ، حتى لو لم يكن فيلسوفا ولا منطقيا ، أن يكون دقيقا في عباراته . كذلك فإن آراء طه حسين ، التي كما رأينا قد نقلها عن عدد من المستشرقين لا يمكن أن تكون أبدا هي نفسها آراء ابن سلام . وليس العرب هم وحدهم الذين يرفضون آراء أمثال مرجليوث وطه حسين ومن لف لفهما ، بل الحقيقة أنهم ليسوا أول من فعل ذلك . وقد كان أحمرى به وهو الذي جمع ما قاله المستشرقون في قضية الشعر الجاهلي أن يعرف هذا قبل غيره . هل كان رينان يشك في الشعر الجاهلي ؟ لقد تكفل عبد الرشيد الصادق ، كما رأينا فيما سبق ، وما ساقه من كلام رينان الإجابة على هذا السؤال بالنفي (١٣) . ولإيال ، الم يرد على مرجليوث ويفند آراءه ؟ (١٤) ومثله أيضا برونيلش (١٥) . ثم ما رأى الدكتور بدوى فيما قاله جورجيو ليفي دلافيدا في هذا الموضوع ؟ الم ير هو أيضا أنه قد بولغ في مسألة وضع الشعر الجاهلي ونحله ... (وان) مجموع الرواية الشعرية في جملتها صحيحة أصيلة ؟ (١٦) وكذلك ما رايه في نقض آربري ، المشرق الانجيزي لنظرية مواطنه مرجليوث في أصول الشعر العربي ؟ (١٧)

-
- (١٣) انظر عبد الرحمن الصادق / مقالاته عن طه حسين ومرجليوث في أهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .
- (١٤) انظر د. ناصر الدين الأبد / ص ٣٦٧ — ٣٧٤ .
- (١٥) — انظر مثلا د. شوقي ضيف / العصر الجاهلي / ص ١٦٦ ، ود. هدارة في مقالته بالصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ .
- (١٦) — انظر د. ناصر الدين الأسد / ص ٣٧٤ — ٣٧٦ وانظر كذلك ما كتبه دلافيدا نفسه عن هذا الموضوع في مقالته عن طه حسين / ص ١٦٩ — ١٧٠ من كتاب « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .
- (١٧) — انظر مقالة د. هدارة في الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ .

وهذا هو الموقف الذى انتهى اليه المشرقون بوجه علم ، كما يقول هذا المشرق نفسه (١٨) . لم ترى هؤلاء هم ايضا من المشتغلين بالأدب العربى الذين لكلمة « المشرقين » في أذهانهم معان غريبة معنفة في التضييق والابهام والتهاويل ؟ ثم هل يمكن أن نصدق أن طه حسين وحده من دون من سبقوه من لدن ابن سلام الى وقت ظهور كتابه « في الشعر الجاهلى » هو الذى فهم ما قاله الناقد العربى القديم ، بعد ان أخطأ السابقون فهمه طوال هذه القرون المتطاولة ؟ بل كيف اتنى طه حسين نفسه على مصطفى صادق الرافعى وما قاله عن الوضع في الشعر الجاهلى (في كتابه « تاريخ آداب العرب ») ، على ما مر بنا ، والرافعى ، اذا سلمنا بما قاله الدكتور بدوى عن تطابق ابن سلام وطه حسين ، قد أخطأ في فهم ابن سلام وهل هاجم ابن سلام القرآن وشكك في مصدره السماوى كما فعل طه حسين ؟ (للمرة الثالثة أقول : انى لا أصادر حرية طه حسين ولا غير طه حسين في الجهر بما يريد ، ولكن هذه هى حقيقة آراء طه حسين ، وان حاول بعض ان يوهوا ذلك) ان خير رد على دعوى د. بدوى ان طه حسين لم يفعل اكثر من انه انتهى الى نفس النتائج والأسباب التى انتهى اليها من قبله ابن سلام هو أيراد ما قاله هذا الناقد العربى القديم والمقابلة بينه وبين آراء د. طه حسين ، وذلك بدلا من تضييع الوقت في الجدال النظرى الذى من الواضح ان بعض الدارسين بارعون فيه الى درجة مذهلة .

ان سامح كريم الصحفى بالأهرام يورد بعض ما قاله ابن سلام وكأنه وقع على كبر ثمين ، متصورا ان هذه النصوص المبصرة تخدم شبهته التى أخذها عن د. بدوى ، وهى ان طه حسين لم يقل شيئا اكثر مما قاله ابن سلام . وهذا ما أورده من أقوال ابن سلام : « وفي الشعر

(١٨) — طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٧٠ .

(م ٧ — معركة الشعر الجاهلى)

مصنوع مختلف وموضوع كثير لا خير فيه . . . وقد تداوله قوم من كتّاب لم
ياخذوه من أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء » و « فلما راجعت العرب
رواية الشعر وفكر أيامها وبآثرها استغل بعض العشائر شعراءهم
وما ذهب من فكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فارادوا أن
يلحقوا بين له الوقائع والأشعار ، فقالوا على السنة شعرائهم . ثم كانت
الرواية بعد ، فزادوا في الأشعار التي قلت . وليس يشكل على أهل
العلم زيادة الرواية ولا ما وضع المولدون . وإنما عضل بينهم (كذا . وقد
وجدتها في ط ١٩٥٢ هكذا : « وإنما عضل ذلك بهم ») أن يقول الرجل
من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك
بعض الاشكال » و « أشعرهم (أي أشعر شعراء المدينة) حسان
بن ثابت ، وهو كثير الشعر جيدة ، وقد حمل عليه ما لم يحمل على آخر » .
ثم يعقب قائلا : « أليست هذه الأقوال لابن سلام تجعل طه حسين يتأثر
به في نظريته للشعر الجاهلي ؟ » (١٩) والجواب : أن ابن سلام كان موجودا
بين يدي طه حسين قبل سفره إلى فرنسا وبعد عودته منها سنين طويلا ،
فلماذا لم يتأثر به إلا بعد ظهور مقالة مرجليوث ؟ بل لقد عرض الرافعي
هذه القضية عرضا معتدلا كما صورها القدماء مع الإحاطة بها تفصيلا
 ووضعها في إطارها العام ، وكان ذلك قبل ظهور بحث مرجليوث بأربعة
عشر عاما ، فكيف لم تلفت انتباه طه حسين ، وظل غائلا عن هذه القضية
إلى أن صدرت مقالة مرجليوث ، وعندئذ . . وعندئذ فقط أصيب بالاهتمام
المفاجيء بها ، بل عندئذ . . وعندئذ فقط أصبح ما كتبه الرافعي يستحق
الثناء بعد أن كان صرح بأنه لا يفهمه . فهذه واحدة . أما الثانية ، فهل

يظن سامح كريم ود. عبد الرحمن بدوي أن مثل هذه الأقوال لابن سلام كانت غائبة عن كل من درسوا الشعر الجاهلي إلا طه حسين ، أو أنهم على الأقل لم يفهموها حق فهمها حتى جاء طه حسين وفهمها كما ينبغي ؟ اتراهما يريان فيها غموضا عويضا لا يستطيع سوى طه حسين أن يقشع غموضه وسحبه ؟ ألا فليعلمنا أنه لا أحد يشاح في كلام ابن سلام وغيره من العلماء الفئات الأثبات في الشعر الجاهلي . وانما المشكلة في أن طه حسين ، بدلا من أن ينظر في أمر الشعر الجاهلي نظرة الفاحص المبحص فينتهي منه ما يستحق النفي ويقبل منه ما هو جدير بالاطمئنان والقبول ، شأن ابن سلام وغيره من علمائنا ونقادنا القدامى ، أثر أن يردد مقالة مرجليوث في الشك المصنف في الشعر الجاهلي ، وأن سمح باستثناء القليل استثناء غامضا ، على عكس المستشرق الانجيزي ، الذي انفى الشعر الجاهلي جملة وأراح نفسه .

أن سامح كريم يخبرنا أنه حين أورد ما أورد انما كان ذلك بناء على اختيار عشوائى . وغريب أمر ذلك الاختيار العشوائى الذى لا يأتى أبدا من أقوال ابن سلام بما يبين تبينا ساطعا أن طه حسين قد خالف ابن سلام مخالفة شديدة وأثر عليه مرجليوث . لقد كان يمكننى أن أقول أن ما سأورده الآن لابن سلام انما هو نتيجة اختيار عشوائى ، بيد انى صريح أحب أن اسمى الأشياء بمسمياتها ، ولهذا أعلن بلاء فمى انى قرأت مقدمة ابن سلام كلها فوجدت فيها الآتى : « وقد اختلف العلماء في بعض الشعر كما اختلف في بعض الأشياء . اما ما اتفقوا عليه فليس لاحد أن يخرج منه » و « في الشعر المسجوع مفتعل موضوع لا خير فيه . . . وقد كان عند النعمان بن الحر منه ديوان فيه اشعار الفحول وما مدح هو واهل بيته به ، فصارت

ذلك الى بنى مروان او صار منه « (٢١) و « أول من تكلم بالعربية ولستان
 آتية اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما » . (٢٢) والآن نقسأل : أين
 هذا مما ألح عليه طه حسين من التشك في الأغلبية الساحقة من الشعر
 الجاهلي ؟ وأين هذا من نفى طه حسين ان يكون شيء من ذلك الشعر قد نقل
 مكتوباً ؟ (٢٣) وأين هذا من عد طه حسين هجرة سيدنا ابراهيم وسيدنا
 اسماعيل عليهما السلام الى مكة وأبوة هذا للعرب اسطورة من
 الاساطير شاعت في العصر الجاهلي ثم جاء الاسلام فاستغلها لاسباب
 سياسية ؟ وهل جعل ابن سلام المسلمين كلهم كذابين وضاعين كما جعلهم
 طه حسين ؟ وهل شك ابن سلام في وجود امرئ القيس مثلاً ؟ وماذا فعل
 في قول ابن سلام انه ليس لاحد ان يخرج مما اتفق العلماء على صحته
 من الشعر الجاهلي ؟ اهذا ايضا مما اتفق فيه ابن سلام وطه حسين ، الذي
 لم يعبأ بمقاييس اولئك العلماء ونتائجهم ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تدل
 على ان طه حسين قد تأسر بهرجليوث وردد كلامه ابن سلام . ثم
 كيف نسي سامح كريم ومن اخذ عنهم ان بهرجليوث نفسه قد قتل عن بحثه
 وبحث طه حسين انهما متماثلان الى حد كبير ، مع ان بحثه يدور حول
 رفض كل ما قاله القدماء عن صحة الشعر الجاهلي ، ولم يقل ان فكرة
 طه حسين تشبه فكرة ابن سلام ؟ استبان لنا ان من المقابلة بين ابن سلام

(٢١) السابق / ض ٦ ، ٢٣ .

(٢٢) السابق / ص ٩ .

(٢٣) للحقيقة يبدو كلام ابن سلام هنا غير متسق تماماً ، اذ ذكر
 قبيل ذلك ان العرب لم يؤولوا من الشعر الجاهلي الى ديوان مكتوب ،
 وإن كان يمكن التوفيق بين هذا وذاك بالقول بأنه يقصد علماء العرب
 ورواتهم لا ملوكهم .

وطه حسين ان ما قاله د. عبد الرحمن بدوي وردده وراءه سامح كريم غير صحيح . (٢٤) كذلك فان اقتصار هذا الأخير على ايراد قول د. شوقي ضيف ان حديث طه حسين عن اسباب نحل الشعر يعتمد أساسا على القدماء العرب ومنهم ابن سلام هو عمل أقل ما يوصف به انه سبق للتضليل . وحتى اثبت للتأريء صدق الحكم أسوق اليه كلام الدكتور شوقي كله وينصه . قال بعد ان لخص الاسباب التي دفعت طه حسين الى الشك في الشعر الجاهلي ورد عليها وفندها سببا سببا (٢٥) : « ويخرج طه حسين في مصنفه من هذا الكتاب الثنائي الى الكتاب الثالث ، فيتحدث عن اسباب نحل الشعر ويبسطها بسطا معتمدا على ملاحظات القدماء » (٢٦) . وبعد ان يورد د. شوقي ضيف هذه الاسباب ويعلق عليها بما ينقض موقف طه حسين يقول : (ومعنى ذلك كله انه في هذا الكتاب انما يردد ما نص عليه العلماء السابقون من قضايا ، يريد ان يتسع لنقض الشعر الجاهلي جميعه ، وهي انما تنقض جوانب منه ، وينبغي ان نقف عندها والا نذهب مذهب التعميم » (٢٧) . ثم بحث ان يتد موقف طه حسين من شعراء ربعة

(٢٤) علق د. محمد مصطفى في مقالته بأهزام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ على كلام د. عبد الرحمن بدوي هذا بقوله : « ولا أجد تجاوزا لكل الحقائق أشد وأخطر من هذه الأقوال . فما أبعد كلام ابن سلام عن مرجليوث . وما أبعد قول الأستاذ محمود محمد شاكر : « اما ابن سلام صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » فهو من قضية الشعر الجاهلي بمعزل . ابن سلام لا يشك في شعر هو أحد حفاظه وعلمائه ، ثم يؤلف في هذا الشعر وشعرائه كتابا براسه هو كتاب « طبقات فحول الشعراء » فلماذا تزيف الحقائق ؟ » وهذا الكلام ، كما ترى ، هو الحق الذي لا مرية فيه . (٢٥) انظر / ١٧ - ١٧٣ من / العصر الجاهلي .

(٢٦) ص ١٧٣ .

(٢٧) ص ١٧٤ .

وشعراء مضر وتصريحه بما معناه أنه كان يستطيع أن يحقق نتائج سليمة لو استقصى ما قاله القدماء في هذا الموضوع يقول : « والحق أن الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير . غير أن ذلك لم يكن غلباً عن القدماء ، فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة وصيفه والفاظه من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلي وخارجي دقيق . ومعنى ذلك أنهم أحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت ، فكان ينبغي ألا يبلغ المحدثون من أمثال مرجليوث وطه حسين (أرجو أن يقرأ سامح كريم هذه العبارة الأخيرة جيداً ويتنبه لدلالة الربط بين مرجليوث وطه حسين في هذا السياق) في الشك فيه بمالفة تنتهي إلى رفضه . إنما شك حقا فيما شك فيه القدماء ونرفضه . أما ما وثقوه ورواه أثباتهم من مثل أبي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والأصمعي وأبي زيد نحري أن نقبله ما داموا قد أجمعوا على صحته . ومع ذلك ينبغي أن نخضعه للاختبار وأن نرفض بعض ما رويوه على أسس علمية منهجية لا لجورد الظن (أرجو أيضاً التنبيه لهذه العبارة ومغزاها) كان يروى لشاعر شعر لا يتصل بظروفه التاريخية ، أو تجرى فيه أسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته ، أو يضاف إليه شعر إسلامي النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نلجس الوضع لسنا » (٢٨) .

على أني رغم سطوع الحقيقة كالشمس في رائعة النهار ، أحب أن أعرف ماذا يقول د. طه حسين نفسه في هذه النقطة . يقول : « وأما أنصار الجديد .. هم لا يطمئنون إلى ما قاله القدماء ، وإنما يلقونه بالتحفظ والشك . ولعل أشد ما يملكهم الشك حين يجدون من القدماء ثقة واطمئناناً . هم يريدون أن يدرسوا مسألة الشعر الجاهلي فيجاهلون

اجتماع القدماء على ما اجمعوا عليه ، ويتساطون : اهتلك شعر جاهلي . . .
والنتائج اللازمة لهذا المذهب الذي يذهبه المجددون عظيمة جليلة الخطر .
فهي الى الثورة الادبية اقرب منها الى كل شيء آخر . وحسبك انهم يشكون
فيها كان الناس يرونه يقيناً ، وقد يجحدون ما اجمع الناس على انه
لا شك فيه (يبدو لي ان المقصود بذلك هو الشعر الجاهلي وشعرائه ،
ولكن تنبه لما هو آت) وليس حظ هذا المذهب منتظماً عند هذا الحد ، بل
هو يجاوز الى حدود اخرى ابعد منه مدى واعظم اثراً ، فهم ينتهون
الى تغيير التاريخ او ما اتفق الناس على انه تاريخ (ارجو ان تنبه اكثر) .
وهم قد ينتهون الى الشك في اشياء لم يكن يباح الشك فيها (لا اظن
المعنى خافياً على القارئ ، فليس الا القرآن الكريم . وليس هذا
تخميناً ، فقد انكر الدكتور ، كما وضحت بالنصوص القطعية ، اشياء في
القرآن الكريم ، ونظر اليه بوصفه تاليفاً بشرياً . ولنتابع) . وهم بين
اثنين : اما ان يجحدوا انفسهم ويجحدوا العلم وحقوقه فيريحوا ويستريحوا ،
واما ان يعرفوا لانفسهم حقها ويؤدوا للعلم واجبه ، فيتعرضوا لما ينبغي ان
يتعرض له العلماء من الاذى « والاذى طبعاً لا ينال من يقتصر شكه على امرء
القيس وامثاله من شعراء الجاهلية وشعرهم ، وان لم يكن الاذى من رأينا .
ولكن هذا موضوع آخر) ، ويحتلوا ما ينبغي ان يحتله العلماء من
سخط الساخطين » (٢٩) .

فهذا ما يقوله طه حسين نفسه ، وهو يهدم دعاوى د. عبد الرحمن
بدوى وسامح كريم من ورائه . اذن فاتهمم الرافعي لطله حسين بانه اخذ
آراء المستشرقين هي تهمة قوية ، وكل الملابس والادلة تؤيدها وتؤكددها .

ومع ذلك فإن الرافعي ، رحمه الله ، في موضع آخر من كتابه « تحت راية القرآن » يتهم طه حسين بأنه بنى كتابه « في الشعر الجاهلي » على الباب المعنون بـ « الرواية والرواة » من كتابه هو « تاريخ آداب العرب » (٣٠) . والواقع أن عرض الرافعي لهذه المسألة في كتابه المذكور هو عرض شامل ومفصل ومنظم ، ولكن دعواه هذه غير مستحقة ، إلا إذا كان يقصد أن طه حسين قد أخذ كلامه (وهو بالنسبة كلام القدماء ، مع الإحاطة والتفصيل والتنظيم كما قلنا) ، ومطه إلى نهايته . وشك في الشعر الجاهلي كما يقتربا بدلا من الاقتصار على ما اقتصر عليه من سبقه من العلماء والنقاد العرب قديما وحديثا .

نقد الرافعي لمنهج طه حسين في دراسة الشعر الجاهلي وآرائه فيه

والآن حان الوقت لتناول نقد الرافعي لمنهج طه حسين في دراسة الشعر الجاهلي وانكاره في هذا الموضوع . وأول ما ينبغي أن نعرض له هنا هو ما قاله الرافعي عن استخدام الدكتور طه لمنهج الشك عند ديكرت الفيلسوف الفرنسي الشهير (٣٠) .

لقد قدم الرافعي تلخيصاً لمذهب هذا الفيلسوف (٣٢) وهناك نص مما قاله عن هذا الفيلسوف : « فيلسوف فرنسي توفي سنة ١٦٥٠ م ، وله المذهب الفلسفي المنسوب اليه القائم على هذه الكلمة : « أنا أنكر قائماً الآن موجود » . وخلاصة مذهبه ألا تقر حقاً لست على بينة أنه حق ، وألا تلطع بالرأي حتى تكون على يقين من أنك محصنه ولم يفتك نص ولا شيء مما تستعين به وإن تجزئ كل مشكلة تمتحنها إلى الأجزاء التي لا يكون الحل بدونها حلاً ، وإن تجزئ التفكير على نظام تدريجي من السهل إلى ما فوقه » . ثم عقب عليه بقوله : « وقد ثبت أن طه لم يفهم هذا المذهب وأنه شموذ به على الطلبة وأنه لا يعدل جهله فيما ينقل عن العربية إلا ما

(٣١) انظر في الشعر الجاهلي . فصل / منهج البحث / ص ١١ -

١٤ حيث يعلن د . طه أنه سيستخدم في بحثه هذا منهج ديكرت في الشك . (٣٢) في تحت راية القرآن / هامش ص / ١٤٠ .

(٣٣) في الشعر الجاهلي / ص ١١ . وفي قواعد المنهج الديكرتي

انظر ديكرت / Discours de la Methode ص ٦٣ - ٦٤ (مع التعليقات التي كتبها شاربنتييه في الهامش) ، وكذلك ترجمة محمود محمد الخضير لهذا البحث / ص ٣١ - ٣٢ (مع التعليقات المفيدة التي أضافها في الهامش) . كذلك برتراند رسل / حكمة الغرب / ص ٧٠ ، ود . تومبوك الطويل / أسس الفلسفة / ص ١٤٨ - ١٥٠ .

ينقله عن الفرنسية « . والواقع ان مقارنة سريعة بين تلخيص الرافعى لهذا المذهب وما قلله عنه طه حسين في كتابه « فى الشعر الجاهلى » تبين لنا اوضح تبين ان الرافعى لم يترك شيئا من القواعد التى ارساها الفيلسوف الفرنسى من اجل التوصل الى اليقين ، على حين لم يذكر طه حسين الا شيئا واحدا مما تقتضيه قاعدة واحدة فقط من هذه القواعد ، وهى القاعدة الاولى التى تقضى بان « يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل » . بل انه ساق ذلك على نحو موجز ، وكان الاخرى به ان يفصل القول فى هذه القاعدة تفصيلا لا يفادر جانبيا من جوانبها حتى يعطى قارئه فرصة كاملة لتحجيص ما يقوله ونقده ، وترك الثلاث الباقية التى من المؤكد انه لم يعرها احدى الثقافات وهو يدرس الشعر الجاهلى . لويس ذلك فقط ، بل ان طه حسين قد عجز عن تطبيق هذه القاعدة ، اذا لم نقل انه لم يفهم ابصارها ، او على الاقل هذا ما يفهم من موقفه من الدين (كما عرضه فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وهو ما سنتناوله بعد قليل . ولذلك جاء بحثه خديجا غير ناضج مما اعطى الرافعى وكل من ردوا عليه اقوى سلاح فى تسفيه منهجه وآرائه وهديها . اى ان حكم الرافعى على استخدام طه حسين لهذا المنهج هو حكم صحيح ، وان جاءت عبارته شديدة (٢٤) .

(٢٤) انظر فى الخلاف بين طه حسين وبعض من انتقدوا فهمه لديكارت مقالة عبد الرشيد الصادق محمود / ابصار جديدة لمبارك طه حسين الفكرية . لماذا زعم طه حسين ان لديه مخطوطات لم تنشر لديكارت ؟ / الهلال / سبتمبر ١٩٨٤ / ص ٤٠ — ٤٩ . وانظر فى معرفة طه حسين بديكارت وفلسفته مقالة كامل زهيرى / المنهج الفكرى عند طه حسين / وبالذات ص ١٤٤ — ١٤٥ ، ١٤٨ — ١٤٩ من كتاب « طه حسين كما يعرفه علماء عصره » . وانظر كذلك ص ١٢٨ من نفس الكتاب حيث يرى محمود امين العالم ان طه حسين « لم يكن فى حاجة الى منهج ديكارت » .

وفي موضع آخر يكرر الراجسي الزاوية على طه حسين لمقدمهم منهج ديكارت وعجزه عن الاستفادة به (٣٥) . ويمضي فيشير الى أن ديكارت كان « يفتنى على التكوين الاجتماعي من الشك ، لأن الشك لأحد له ، إذ هو المجهول كله . فهو من أجل هذا يشترط ألا تمس أصول الدين ولا يجترأ على ما أنزله الناس في منزلتها من أصول العادات » (٣٦) . ثم يعقب قائلا : وكل ذلك على ما فيه من القيود لا يتفق على أحسنه إلا لمن كان عظه من الفكاء والنفاذ كانه قيد للمعانى والخواطر ، فهو اطلاق لا يراد منه الاطلاق الأحمق كما ظهر في كتاب استاذ الجامعة ، بل تعقيد الحقيقة التي لا سبيل اليها إلا من البصرة . وما البصرة أن تعمى عن الحق بشيء من العاطفة أو العصبية ، ولا بشيء من الجهل أو ضعف الذهن ، فإن هذين كهيذين . ومذهب ديكارت كله تجده على أسماه وأبعده من الاعتراض وما يدخله من الشبهة في قوله تعالى : « هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة » (٣٧) .

الديكارتى ، مجوهر حركته الفكرية هو التحديد العقلى ، وليس الشك الديكارتى إلا وجها من أوجه هذا الجهد العقلى ولكنه ليس جوهره . والواقع أن في كلام العالم مبالغة شديدة تعتمد على الخطابية والغميم ، فضلا عما فيه من تناقض أسوق للتليل عليه قوله (ص / ١٢٩) : « أننا في بعض كتاباته الأخرى قد نلح فيها جنوحا الى التشكك في تيقن العقل كأداة منفردة للمعرفة » . وهو تناقض لا يبيء بذنبه هو وحده بل طه حسين أيضا ، مما يدل على أن الراجسي لم يظلمه حين هاجمهم لفلسفة ديكارت وتطبيقه لمنهجهم كما رأينا .

(٣٥) تحت راية القرآن / ص ٢٣٢ .

(٣٦) المرجع السابق / ص ٢٢٣ .

(٣٧) السابق / ص ٢٢٣ .

والحقيقة ان كلام الرافعي عن استفتاء ديكارت للدين واصول
للحجرات من الشك صحيح (يقصد ديكارت بالدين دينه هو ، وبما يسببه
الرافعي « اصول المعادات » عادات بلاده) ، بيد ان ديكارت انما فعل
ذلك بصفة مؤقتة حتى يصل الى بر اليقين الذي سيغنيه حينئذ عن ذلك (٣٨).

ويبدو ان عثمان نوية لم ينتبه الى ان هذا القانون الذي استثنى به
ديكارت دينه وعادات بلاده انما هو قانون مؤقت ، ولذلك رأى انه يتناقض
مع قوله : « اننى اتبع افكارى أينما قادتنى (٣٩) . ومع ذلك فان ديكارت ،
فما يفهم من كلام تيسير شيخ الارض عن هذه المسألة ، لم يتوصل الى
وضع اساس هذه الاخلاق المطلقة وعاد فتنى هذه الاخلاق المؤقتة (٤٠) .

اذن فان كلام الرافعي ان لم يستحق في هذه الجزئية على فكر ديكارت
الظفرى فانه مع ذلك صحيح بالنسبة الى ما استقر عليه الفيلسوف الفرنسى
بعد ذلك . بيد انه ينبغي ان نعرف ان ديكارت قد اثبت وجود الله بالتأمل
والبرهان العقلين . (٤٢) . ولكن اثبات وجود الله ، كما هو مفهوم ، لا

(٣٨) انظر برتراند راسل / حكمة الغرب / ج ٢ / ص ٧٠ - ٧١ .

(٣٩) انظر عثمان نوية / اعلام الفكر الاوربي / ج ١ / ص ١١٢ .

(٤٠) انظر ترجمة تيسير شيخ الارض لمصنوع اندريه كريسون

« ديكارت » / ص ١٠١ - ١٠٢ (ق الهامش) ، ود. عثمان أمين /

ديكارت / ص ١٠٠ .

(٤١) الذى ظل كاثوليكيًا مخلصًا لا شيء الا لان الكاثوليكية هي مذهب

بلاده ومليكه . انظر برتراند راسل / The History of Western Philosophy

ص ٥٨١ ، وحكمة الغرب / ج ٢ / ص ٦٨ . وانظر د. عثمان أمين /

ديكارت / ص ٤٦

(٤٢) انظر في ذلك ديكارت . Discours de la Methode

يستغرق الدين كله . إنما ما يمكن الأمر فاني لا أوافق التراجع على خطيئة ،
على الذين من البحث والشك ، والمهم أن يكون شكلا إيجابيا غايته الوصول
إلى بر اليقين وبرده . والإسلام هو الدين الوحيد الذي لا يخالف عليه
من البحث والتحصيل . أنه دين العقل والمتطق ، والقرآن لا يطلب أحد
من أحد أن يسلم بوجود الله أو بصديق محمد ﷺ أو بجمال تشريعاته
وفائدتها للبشرية تسليما أمى ، فان مثل هذا التسليم معيب في نظر القرآن
عيبا شديدا ، بل تسليم العقل والاعتناع الحر (ولا خوف عليه مما حيث
مثلا للنصرانية وإسرارها الغامضة ، التي رفضها الفلاسفة الأوربيون الذين
تأثروا بمنهج ديكارت ، فليس في الإسلام غموض ولا أسرار ، وهو لا يطلب
من أتباعه أن يؤمنوا بأشياء تخالف العقل) (٤٢) .

ومن هنا فاني لا انهم موقف طه حسين المراوغ حين حاول أن يوهنا
بأن الإنسان قد يشك بعقله في الوقت الذي يكون قلبه فيه مطمئنا ،

ص ٨٢ - ٩٠ ، وترجمة محمود محمد الخضيرى لهذا الكتاب (بمعنوان « مقالة
عن المنهج لأحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة والعلوم ») ص ٥٨ -
٧٣ ، وكذلك ديكارت / التأملات في الفلسفة الأولى (ترجمة د. عثمان
أمين) ص ١٥٢ - ١٦٥ . وانظر أيضا برتراند رسل في كتابه The

History of Western Philosophy ومادة Descartes في كل من

Dictionnaire Générale de Biographie et d' Histoire...

لؤلؤيه Ch. De z obry & Th. Bachelet ج / ص / ٧٧٩ ،

وكذلك A Dictionary of Philosophy

بحرره Antony Flew ص ٨٤ - ٨٥ . وانظر

كذلك د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / ص ٦٨ - ٦٩ ، ود. توفيق

الطويل / آينس الفلسفة / ص ١٥١ .

(٤٣) انظر في تأثير منهج ديكارت على الفلاسفة الذين هاجموا النصرانية

أو رفضوا تعاليمها المتصلة بما يسمى أسرار الكنيسة ، عثمان أمين /
ديكارت / ص ٢٧٣ - ٢٧٥ .

واته هو ، برغم إنكاره بعض ما جاء في القرآن ووصفه له بأنه مجسّد
أساطير صنعت لأغراض سياسية ، مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر ، بل قلت انه كان ينبغي عليه أن يختار بين الدين والبحث
العلمي ما دام يرى أنهما متعارضان ، على الأقل احتراماً للقانون الفطري
الذي أشار إليه ديكرت (ليس يزعم طه حسين انه يجرى على منهج هذا
الفيلسوف ؟) ، وهو قانون « عدم التناقض » . ان منهج الشك الديكرتي
هو منهج شامل ، بمعنى أن ديكرت قد طبقه على كل شيء ، وبداه من
البداية الأولى ، فشك حتى في وجود نفسه ، أما طه حسين فانه لم يشك
إلا في « الشعر الجاهلي » . وقد أنكر كذلك المصدر الإلهي للقرآن ،
وان ادعى انه لم يفعل . وهو ما جعلنا نقول انه كان ينبغي عليه أولاً
أن يبين لنا موقفه بصراحة ووضوح منه ، بدلا من هذا الجمع بين
المفادات (٤٤) .

وبالإضافة الى ذلك فقد أخذ الراجعي على طه حسين أنه لا يطرد
شكه في الروايات إلا حين لا يعجبه مضمونها على حين يسارع بتصديقتها
إذا رأى أنها تخدم فكرته (٤٥) . والواقع انه كان ينبغي على طه حسين
أن يجعل الروايات كلها أمام نظره سواء ، فيعاملها كلها على أنها مشكوك
في صحتها حتى تثبت له صحتها بالمنهج الديكرتي الصارم الذي زعم أنه
سيدرس الشعر الجاهلي على أساسه ، أو على الأقل كان عليه أن
ينظر إليها جميعا على أنها صحيحة الى أن يجد فيها ما يجعله يرفضها .
أما الوزن بميزانين فليس من المنهج العلمي في شيء . ان القاعدة الرابعة

(٤٤) صرح طه حسين بعد ذلك ، كما رأينا فيما سبق ، بأن نظره
الى الدين وضعية ، أي انه صناعة بشرية ، تبع من الأرض ولم ينزل من
السماء ، بمعنى انه ليس وحيا الهيّا .

(٤٥) انظر راية القرآن / ص ١٧٥ .

من قواعد ديكرت الأربع التي سبقت الإشارة اليها تنفق من البساخت
أن يقوم في كل الحالات باحصاءات كاملة ومراجعات شاملة تجعل الشخص
على يقين من أنه لم يفعل شيئاً (٤٦) . وطه حسين للأسف لم يحترم هذه
القاعدة ولم يفعل شيئاً مما تطالب الباحث أن يقوم به ، بل لعلها لم
تحظر له على بال أو على الأقل لم تكن واضحة في ذهنه .

وفي ضوء هذا ينبغي أن ننظر إلى ماأخذه عليه المرحوم الراجعي من
أنه قد ينتقل في خلال أسطر معدودات من النقيض إلى النقيض ، كما هو
الحال في حديثه عن أيام العرب وحروبهم ، اذ قال (٤٧) « فحرب البسوس
وحرب داحس والغبراء وحرب الفجار وهذه الأيام الكثرة التي وضعت
فيها الكتب ونظم فيها الشعر ليست في حقيقة الأمر ، ان استقامت نظريتنا ،
الا توسيعا وتنمية لأساطير وذكريات كان العرب يتحدثون بها بعد الاسلام » ،
فيعلق الأستاذ الراجعي على ذلك بقوله (٤٨) : « ولعلنا لم نر في كتب
طه كلمة تدل على العقل الا قوله في هذه العبارة : « ان استقامت نظريتنا »
وتعليقه الرأي على هذا الشرط . وهو شرط بليغ ، ثم هو بعيد عما يأخذ
فيه الشيخ من معاسف الرأي ومعاميه . وهو كذلك من ادب العلم ، اذ
لا حكم الا بيقين ، فان كان الشك ترك الحكم معلقا . غير ان طه لم يتجاوز
هذا العقل بعشرة أسطر حتى هاج به داؤه واعتزته النوبة ، فاذا هو يقول :
« وكل ما ترى من أيام العرب وحروبها وخصوماتها وما يتصل بذلك من
الشعر خليق أن يكون موضوعا ، والكثرة المطلقة منه موضوعة من غير

(٤٦) انظر د. توفيق الطويل / أسس الفلسفة / ص ١٥٠ ،

وبرتراند رسل / حكمة الغرب / ج ٢ / ص ٧٠ .

(٤٧) في الشعر الجاهلي / ص ١٠٣ .

(٤٨) تحت راية القرآن / ص ٣٧٤ .

شكله (٤٩) . ان من المؤكد ان اسئلة الرافعي التالية التي وجهها الى طه حسين هي مما يقتضيه المنهج الديكارتي (ومنهج البحث العلمي) ، الذي يستند الى الاحصاءات والمراجعات الدقيقة كما سلف القول . وهذه الاسئلة هي : « كم يوما من ايام العرب تعرف ايها الشيخ ؟ وفي كم كتاب هي ؟ وكم ديوانا وضع فيها من الشعر ؟ وما هي ؟ واين هي ؟ وما الذي وقفت عليه منها حتى تقطع على كل ذلك بأنه من عمل القصاص وانه زيادة وتوسعه في الاساطير ؟ » (٥٠) . وهي اسئلة ليس في كتاب طه حسين ولا اظن انه كان عنده (وقتها على الاقل) اجابة عليها ، وهو ما يدل في الحقيقة على ان طنطنته بديكارت ومنهج ديكارت انما هي طنطننة على غير اساس .

وهناك امثلة اخرى من هذا التناقض الذي يصوره الرافعي بأسلوبه الساخر قائلا : « والعجب ان الشيخ كثيرا ما يضع رأسه في موضع ثم لا تكون الا وثبة فاذا رجلاه في موضع رأسه - » ومن ذلك ما اشار اليه الرافعي رحمه الله مثل نفى الدكتور طه حسين اننا لا نعرف شيئا آخر عن امرئ القيس الا اسمه ، على حين انه قال قبل ذلك انه يقبل « ان امرأ القيس هو اول من قيد الاوابد وشبه الخيل بالمصي والعقبان وما الى ذلك » (٥١) . ويمقتب

(٤٩) من المعروف عن طه حسين انه يكثر في مقدماته من استعمال عبارات مثل « لعل » و « ربما » و « قد يكون » و « لا يبعد ان يكون » ... الخ ، ثم يقفز في النتائج التي يرتبها على هذه المقدمات المهزوزة الى الجزم والقطع . وقد لاحظنا انه متأثر في ذلك بطريقة بعض المشرقين . انظر كتابنا / المستشرقون والقرآن / ص ٩٣ . كما تنبه د . احمد كمال زكي الى هذه السمة في أسلوب طه حسين . انظر ص ١٨٩ من « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .

(٥٠) تحت راية القرآن / ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٥١) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٤٨ ، ١٥٥ « وتحت

راية القرآن » / ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

الرافعي على هذا بقوله : « وهنا كما ترى حذاء الشيخ مكان رأسه ، والا فهل كان اسم امرئ القيس هو الذي قيد الأوابد واخترع كل تلك المعاني ؟ » (٥٢) .

وقد أشار الرافعي الى تناقضات أخرى في أفكار الدكتور طه . ومنها التناقض الذي في كلامه عن طرفه بين العبد ، اذ يقول عن معلقته : « في هذا الشعر شخصية بارزة قوية لا يستطيع من يلحها أن يزعم أنها متكلفة متحلة أو مستعارة . وهذه الشخصية ظاهرة البداوة واضحة الالحاد ، بينة الحزن والياس والميل الى الإباحة في قصد واعتدال . . . وليس يعينني أن يكون طرفه قائل هذا الشعر ، بل ليس يعينني أن أعرف اسم صاحب هذا الشعر ، وأنها الذي يعينني هو أن هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال » (٥٣) . وقد بين الرافعي بفكره الثاقب ما في هذا الكلام من تناقض يهدم فكرة الكتاب الذي ورد فيه ههما . قال رحمه الله : « فانظر كيف تنهم هذا الغبط . وهل كل شعر يقوله شاعر الا هو صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال . بالإضافة الى قائله ، ثم هو بعد ذلك اذا نسب الى غير قائله كان موضوعا على هذا الغي نصب اليه ؟ واذا نحن ذهبنا هذا المذهب في كل ما يروى عن الجاهلية مقلنا : لا يعيننا أن يكون قائل هذا الشعر فلانا او غيره ولم ننظر الا الى الشعر في نفسه ، فماذا يبقى من كتاب طه حسين ؟ وما فائدة بحثه في الشعر الجاهلي ، وانما يقوم هذا البحث على اثبات الشعر لمن عزى اليهم او نفيه عنهم بعد الادلال بالحجة على هذا او على ذلك ، و « لا يعينني » تطلق البحث من هذين القيدتين معا (٥٤) . وفي موضع آخر

(٥٢) تحت راية القرآن / ص ٢٩٩ .

(٥٣) في الشعر الجاهلي / ص ١٧٧ .

(٥٤) تحت راية القرآن / ص ٣٣٩ . وانظر ص ٢٣٥ - ٢٣٩ حيث

يشير الى معنى طه حسين في كلامه عن الوحدة في القصيدة العربية .
(م ٨ - معركة الشعر الجاهلي)

نجدد رحمه الله يفكر انه قد نصح طه حسين بان يراجع مايليه لونه منه
التعارض (٥٥) .

كذلك مما يأخذه الرأى عليه مما يتعارض مع المنهج الديكارتى انه
« لا يبحث كما يدعى وكما هو الاصل في مذهب ديكارت ، وانما يقرر تقريراً .
وستان بين بحث يراد منه ما ينتج من غير تعيين لنتيجة محتومة وبين تقرير
النتيجة التى يساق لها البحث وتجمع لها الادلة . فان الاول يصلح على
التجرد من الاسباب التى تؤثر فى الراى كالعاطفة والعصبية وغيرها ، واما
الثانى فزعم التجرد فيه حماقة وسخرية ، لان النتيجة المعينة لا تجاذب الا
مقدماتها . وهذه الاسباب لا تقوم الا باحوال مقررة منها الراى والعصبية
والليل والهوى ونحوها » (٥٦) .

ومن هنا يتهمه بتحريف النصوص وتفسيرها على النطق بما ليس فيها (٥٧) .
وقد اورد رحمه الله عدة امثلة لذلك . ومنها انه حين يقول ابن سلام عن وضع
الشعر على الجاهلين : « ثم كانت الرواة بعد فزادوا فى الاشعار . وليس
بشكل على اهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون ، وانما عضل بهم ان
يقول الرجل من اهل بادية من ولد الشعراء او الرجل ليس من ولدهم فيشكل
ذلك بعض الاشكال » (٥٨) نجد ان طه حسين ينسب اليه انه يقول « ان
اهل العلم قادرون على ان يميزوا الشعر الذى ينتحله الرواة (كذا ...)

(٥٥) تحت راية القرآن / ص ٣٣٥ .

(٥٦) المرجة السابق / ص ١٩٩ .

(٥٧) السابق / ١٩٩ .

(٥٨) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص فى « طبقات محول

الشعراء » (بتحقيق محمود شاكر) / ص ٣٩ مع اختلافاً فى الصياغة
بجهد طفيف .

في سهولة ، ولكم يجدون مشقة وعسراً في تمييز الشعر الذي ينتحله العرب أنفسهم (٥٩) . ويعقب الرافعي رحمه الله على ذلك بقوله : « فانظر الى الفرق البعيد بين قول ابن سلام : « الرجل من اهل بادية » وبين قوله طه : « الذي ينتحله العرب انفسهم » . وتأمل معنى « يشكل بعض الاشكال » ومعنى « يجدون مشقة وعسراً » (٦٠) . وهذا مجرد مثال ، والا فهناك امثلة اخرى يمكن للقارئ ان يرجع اليها في صفحات ١٧٧ -- ١٨١ ، ١٩٠ - ١٩٢ ، ٢٢١ - ٢٢٤ ، و ٢٥٣ - ٢٥٥ ، و ٩١ - ٩٤ من « تحت راية القرآن » . وقد تنبه د . احمد كمال زكي لهذا العيب ، اذ ذكر ان طه حسين قد « اورد اقوالاً نسبها الى ابن سلام وهي لا توجد في كتابه » (٦١) . كما اشار الى انه كان يقرر من النص ما يتعارض مع ما يريد ان يقوله (٦٢) .

هذا فيما يتعلق بمنهج الدكتور طه حسين وطريقته في تناول قضية النحل في الشعر الجاهلي ، ولكن ماذا عن ردود الرافعي على آراء الدكتور طه نفسها في هذه القضية ؟

اننا لن نستطيع ان نورد كل آراء الدكتور طه وردود المرحوم الرافعي عليها ، اذ علاوة على ان الرافعي رحمه الله لم يرد على كل ما قاله الدكتور طه (٦٣) فليس هنا هنا هو استقصاء آراء الدكتور وردود

(٥٩) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص موجود في ص ٦٧ من كتاب الدكتور طه حسين .

(٦٠) تحت راية القرآن / ص ١٨٠ .

(٦١) طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٨٨ .

(٦٢) المرجع السابق / ص ١٨٩ .

(٦٣) انظر ما قاله في هذا الصدد / ص ٣٣٤ من / تحت راية القرآن .

الرافعى عليها والا لكان معنى هذا أننا نفقد عشر كتابهم لا لنا بكتبنا
 بحثاً عن هذين الكتابين وما لآراءه من مضايك ، ولتقصيبت كذلك لراستفلا
 هذه تضخما لا ترضاه ، وانما حسبنا أن نشير الى بعض الأمثلة . فبالنسبة لما
 يسمى بدليل المختوى الدينى الذى يقوم علينا بيقوم عليه على أن شعر اليهود
 والنصارى ليس فيه ما يدل على حيانة قائله يقتضئ الرافعى قائلا : « وهن
 شعر النصارى واليهود الا كشمير سائر العرب فى الفقر والهجاء والوصف
 والنسب وغيرها ؟ أم حسب الدكتور أن شعر النصارى يجب أن يكون فى
 عقائده وأنجيله وشعر اليهود فى توراته وتجارتهم ؟ ولعله لا يعلم أن ضعف ما
 يكون الشعر فى الصناعة اذا هو تناول هذه المقائى وأشباهها كما يقع
 فى شعر العلماء والمتصوفة حتى قالوا : أن شعر حسان بن ثابت نزل فى
 الاسلام الى دون ما كان عليه فى الجاهلية » (٦٤) . والحق أن هذا ليس
 برد ، اذ ليست المسألة هى البحث عن سبب ضعف الشعر الدينى ان صحت
 دعوى الضعف واللين ، وانما هى البحث عن سبب اختفائه من اشعار
 الجاهليين . ولنفترض أننا وافقناه على أن شعر حسان ضعف فى الاسلام
 فيبقى السؤال هو : ولماذا لم يصل اليها شعر الجاهليين فى الدين على ضعفه
 ولينه كما وصل اليها شعر حسان ؟ وليس شرطاً أن يكون الرد هو أن
 المسلمين قد مخوا ذلك ، فانهم لم يحوا مجاذلات الكفار وأهل الكتاب
 لرسولهم ولا آراءهم فيه عليه السلام وفى القرآن والتبائع بل وفى الله سبحانه
 نفسه . بل ان القرآن ذاته قد سجل افكارهم وعقائدهم وسفاهاتهم . كذلك
 فان هذا السؤال لا يسوغ ابدأ اتهام الشعر الجاهلى بأنه يلقى ، فهذا
 غير هذا . ان ضياع بعض الشعر الجاهلى شيء واتهم هذا الشعر بجميعه
 بالزيف شيء آخر .

ومع ذلك فان الرافعى يعطى ضياع هذا اللون من الشعر بـ «سقوط الرواية

وضياع الكتب لا ضياع الشعر في نفسه باهمال المسلمين ، ثم يذكر
 اشعارات بعض المؤلفين القدامى التي ما كان وجودها من هذا الشعر على
 القيمة الرفعة وفي بطون الكتب قيل ان ضياع ، ومن ذلك اشارة الجاجظ الى
 اشعار اليهود ، التي كانت نوعا متبعا من طرائف الشعر ، وكتاب المزياني
 الذي كان في اكثر من خمسين الف ورقة وكان احد ابوابه خاصا بديانات
 الشعراء في اشعارهم ومنهم اليهود والنصارى (٦٥) . وهو تعليل وجيه
 ولكنه غير كاف ، اذ السؤال هو : ولماذا ضاع الشعر الديني بالذات من شعر
 الجاهلية ؟ هل يمكن القول ان الدين كان قد ضعف في نفوس الجاهليين
 وإن الشعر الديني في قصائد الفحول والمشاهير منهم قليل ، بخلاف المسلمين
 أهل امرهم مع الاسلام ، اذ كان يخالط منهم العظام ، ولذلك اثر عن تحولهم
 وشياعهم شعر ديني ؟ على كل حال ففى كتاب « الأصنام » لابن الكلبي
 اشعر كثيرة تصور الحياة الوثنية عند العرب . وكذلك للأب لويس
 شيخو كتاب « شعراء النصرانية » ، وفيه اشعار كثيرة تدل على نصرانية
 قائلها ، وان غالى المؤلف كثيرا ففسب كل من هب ودب الى ديانته
 تعصبا منه لها . ثم انه لاتزال هناك كتب لا يحصيها العد لاتزال مخطوطة ،
 وكثير جدا منها مبعثر وبعيد عن ايدى العلماء والمحققين ، فربما كان
 كتاب المزياني المشار اليه وكتب اخرى مشابهة له بين هذه المخطوطات .

ويتصل بهذه المسألة رد الرافعى على زعم الدكتور طه ان القرآن
 يدل على انه كان للعرب حياة عقلية قوية وقدره على الجدال الديني
 والفلسفى انفق القرآن في جهادها حظا عظيما (٥٦) . اذ يرى الرافعى ان
 « معنى الخصام واللدد انهم سفهاء اهل تكذيب وعناد ومكابرة . لا يمكن
 صرفهم عن رأى يكون فيه الهوى ، كما لا يمكن مثل ذلك في الجاهل الاحب

(٦٥) المرجع السابق / ص ١٣٥ .

(٦٦) انظر فى الشعر الجاهلى / ص ٢٠ .

المصر المبلى بالاستهتار والشك « (٥٧) . وهذا في الواقع هو الصحيح لما ورد في القرآن عن هذا الموضوع . وكلمة الراعى في كتابه من ردود ه على الدكتور طه نراه هنا يتهم به فيقول : « يا فضيلة الجليل المصرية في جامعات الامم ! الا يتفضل استاذها على الالب والتاريخ فيذكر لنا مجسدا واحدا من هذه المجالس العربية الفلسفية التي ينفقون فيها حياتهم ؟ ... امن حججهم (اى العرب) الفلسفية كانت تلك الحجارة التي نص التاريخ على انهم كانوا يقذفون بها النبی ﷺ حتى يلجئوه الى الحائط وذلك التراب الذى كانوا يثرونه على راسه ام قولهم : شاعر وساحر وكذاب ومجنون ... ؟ ومتى كانت هذه من صفات الفلاسفة يا شيخ الجامعة ؟ ... » . وهذا كما ترى تهكم مصمم بقوته لانه قائم على اساس صلب من المنطق والفهم الصحيح لنصوص القرآن والمعرفة السليمة بتاريخ العرب في الجاهلية واحوالهم العقلية والروحية .

وبالنسبة للدليل اللغوى الذى يستند الى ان الشعر الجاهلى لا يعكس اختلاف اللهجات بين القبائل والذى على اساسه يتساءل الدكتور طه قائلا : « اذا لم يكن نظم القرآن وهو ليس شعرا ولا مقيدا بما يقتضيه الشعر قد استطاع ان يستقيم في الاداء لهذه القبائل (يريد باختلاف القراءات) فكيف استطاع الشعر ؟ وكيف لم تحدث هذه اللهجات المتباينة آثارها في وزن الشعر وتقطيعه الموسيقى ؟ » يرد الأستاذ الراعى بانه كان على الدكتور طه ان يستقرى اللهجات قبل ان يعترض بها ، وانه لو كان فعل لراها في الجملة لا تغير شيئا من اوزان الشعر ، اذ هي في معظمها ابدال حرف بحرف او حركة بحركة او مد بمد . ثم ان العلماء قد نصوا على ان العربى الفصحى غير مقيد بلهجة قبيلته اذا عارضت طبع الفصحى

(٦٧) تحت راية القرآن / من ١٥٤ .

(٦٨) المرجع السابق / من ١٥٢ - ١٥٤ .

عنه . كذلك فإن أقدم ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي يرجع تاريخه إلى مائة عام قبل الإسلام ، أي في الزمن الذي نهضت فيه اللغة وأخذ العرب بعضهم عن بعض . ومع ذلك كله فقد تظهر في الشعر لهجة القبيلة التي ينتمي إليها الشاعر . ثم يورد الرافعي شاهداً على ذلك من الشعر ومن حديث رسول الله ﷺ (٦٩) . وهو رد منطقي سليم ، وبخاصة ما فيه من إشارة إلى أن العرب في القرن السابق على الإسلام قد عرفوا لغة موحدة ، وإن كنت لا استبعد أن يكون تاريخ ذلك أقدم كثيراً جداً من مجرد قرن . والعجيب أن يستند الدكتور طه إلى اختلاف اللهجات بين القبائل غافلاً عن أن لهجة كل إقليم من الأقاليم العربية منذ الإسلام حتى الآن تختلف عن لهجات الأقاليم العربية الأخرى بل أن ذلك يصدق تماماً على لهجات النواحي المختلفة داخل الإقليم الواحد ، ومع ذلك فإن الكتاب والأدباء والشعراء إذا أبدعوا فإنما يبدعون باللغة الفصحى . كذلك غفل الأستاذ الدكتور عن أن رسول الله ﷺ هو وأصحابه لم يجدوا أدنى صعوبة في التفاهم مع أهل أي صقع من أصقاع الجزيرة العربية ولا وجد هؤلاء من ناحيتهم أية صعوبة في التفاهم مع النبي والمهاجرين والأنصار ، ولا حتى أهل اليمن أو أهل البحرين ، وهما أبعد منطقتين في الجزيرة العربية عن مكة ويثرب موطني الرسول وصحابته الأوائل . ولا يصح أن يقال أن القرآن والإسلام قد وجد لغة العرب جميعاً ، فإن هذا التفاهم كان قائماً منذ اللحظة الأولى التي اتصل فيها العرب من القبائل المختلفة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، أي قبل أن يفعل القرآن نطقه المشار إليه .

(٦٩) انظر في هذه المسألة « في الشعر الجاهلي » / ص ١٢٢
 « الشعر الجاهلي واللهجات » / ص ٢١ وما بعدها ، « قصيدة ربيعة
 القرآن » ص ١٤٢ - ١٤٣ .

أن الدكتور طه (والرائقي إلى حد ما) (٧٠) ينسى أن هذه اللهجات قد تفرعت من أصل واحد ، لا كما يريدنا أن نعتقد من أنها قد توجعت في لهجة واحدة هي لهجة قريش ، وإذن فإنها مهما اختلفت فهو كاختلاف لهجاتنا الحالية ، الذي لا يمنع المثقفين على الأقل من التفاهم باللهجة الفصحى (أو باللهجة قريية منها) ، أو من الكتابة (عند ما يكتبون) بهذه اللهجة الفصحى . ومن المثقفون في العصر الجاهلي ، أن لم يكونوا هم الشمراء والخطباء ثم إن العرب ، وإن انقسموا قبائل ، كانوا متصلين ببعضهم البعض عن طريق الانتجاع والمصاهرة والحروب والمحالقات والتجارة والحج إلى البيت الحرام واللقات الأسيية وغير ذلك . . . ومن شأن هذا الاتصال ، لا أقول : أن يقيم ، بل يحافظ على هذه القرابة اللغوية بين اللهجات المختلفة . .

ويدخل في الدليل اللغوي مقالته الدكتور طه حسين (٧١) من أنه « قد يكون لنا أن نلاحظ . . . ملاحظة لا أدرى كيف يتخلص منها أنصار القديم ، وهي أن أمرا القيس ، أن صحت أحاديث الرواة (يقصد : أن صح أنه كان له وجود حقيقي) ، يبنى وشعره قرشى اللغة . ولغة اليمين مخالفة كل المخالفة للغة الحجاز ، فكيف نظم الشاعر اليمنى شعره في لغة أهل الحجاز ؟ . . . وأعجب من هذا أنك لا تجد مطلقا في شعر امرئ القيس لفظا أو أسلوبا أو نحو من أنحاء القول يدل على أنه يبنى . فمهما يكن أمرؤ القيس قد تأثر بلغة عدنان فكيف نستطيع أن نتصور أن لغته محيت من نفسه محموا تاما ولم يظهر لها أثر في شعره ؟ نظن أن أنصار القديم سيجدون كثيرا من المشقة والعناء ليحلوا هذه المشكلة » . وقد رد

(٧٠) انظر تفصيل رأيه في ذلك في / ص ٢٧٠ — ٢٧٤ من كتابه الذي نحن بصده .

(٧١) في الشعر الجاهلي / ص ١٤١ .

الإسماعيل الرافعي بأن على طه حسين إما أن ينكر وجود امرئ القيس أنكاراً صريحاً ، ويعتدّ بسوء يكون حججه عليه هي ذكر هذا الشاعر في الإحياء المروية عن النين عليه الصلاة والسلام وكلام عمرو بن وهب وشعر الفرزدق وغيرهم ، وإما أن يقر بوجوده إقراراً صريحاً ، وعند ذلك تبقى مشكلة اللغة التي ظن أن الشاعر القديم سيجدون في حلها كثيراً من المشقة والعناء ، والتي لا صعوبة أيا كانت ، مع ذلك ، في حلها ، إذ ذكر ابن رشتي ، على سبيل المثال ، أن لهذا القيس ، وإن كان يعني النسيب ، هو تزارى المولد والنشأ ، أي أنه لم يولد باليمن ثم ينقل بعد ذلك في قبائل العرب حتى يقال : كيف نسي لفته ؟ وإلفته إذن هي لغة عرب الشمال الذين ولد فيهم ونشأ في ديارهم لا الجنوب (٧٢) . وهو رد مبهم يسد الطريق على الدكتور طه سداً لو أنه يحتكم في آرائه في كتابه الذي نحن بصدده إلى المنطق ، لكنه للأسف يستسهل أن يرمي العرب والمسلمين جميعاً ، من علماء وساسة وقصاصين وشعراء ومثقفين ، بالكذب . حتى القرآن نفسه اتهم بأنه قد وضع يده على أسطورة الترابية النسبية بين العرب واليهود التي شاعت في العصر الجاهلي واستغلها لأسباب سياسية . وما دينا بصد الحديث عن امرئ القيس فلنذكر رد الرافعي رحمه الله على الدكتور طه ، الذي ينكر وجود امرئ القيس ، معتداً إلى جانب الدليل اللغوي ، الذي فرغنا منه آنفاً ، على أن بعض وقائع حياته مشابهة في خطوطها العامة جداً لبعض الوقائع في حياة عبد الرحمن بن الأشعث ، وأنه ربما أراد قوم أن يؤرخوا له من غير أن يلفتوا نظر الأمويين ، الذين ثار عليهم ابن الأشعث وخلع طاعتهم . ويتلخص رد الرافعي على هذا

(٧٢) انظر تحت راية القرآن / ص ٢٦٥ - ٢٦٦ وانظر كذلك د.

شوقي ضيف / العصر الجاهلي / ص ٢٤٨ ، حيث يسوق هذا الرد في تفهيد شبهة د. طه حسين .

المنطلق الغريب في أنه وضع أحداث حياة امرئ القيس وابن الأشعث وجهها لوجه ، وبين أن المشابهات بينهما ليست بالأهمية التي يدعيها طه حسين ، ولا تدل من ثمة على شيء مما ذهب إليه ، وكذلك أن الناس متشابهون بوجه عام ، ولذلك فقد تشابه بعض الأحداث الكبرى في حياتهم . كذلك أن المؤرخين وأصحاب الأخبار قد دونوا أخبار ابن الأشعث وحروبها باستنادهما ، فكيف يلجأ أهله إلى هذا الملف والدوران على حين ينكر المؤرخون أخباره بصراحة لا مواربة فيها ؟ ثم يفترض الرافعي أن مزعم الدكتور طه حسين صحيح ، ثم يعقب بأنه ليس من الفخر أن قصاص ابن الأشعث قد جعلوه شاعرا طرده أبوه ، ووصفوه بالتصمك والمهر والفحش ، وجعلوه عاجزا ضلعا في القبائل لا يأخذ بثار أبيه . . الخ . . . وذلك غير عدد من الأخطاء التاريخية الفاحشة المتصلة بهذا الموضوع والتي تورط فيها الدكتور طه ورده الرافعي فيها إلى الصواب مما يمكن القارئ الرجوع إلى كتاب الرافعي للاطلاع على تفاصيلها (٧٣) .

ويضيف الدكتور طه دليلا فنيا على أن الشعر الذي قاله امرئ القيس في رحلته إلى قيصر هو شعر موضوع ، وهو أن هذا الشعر يخلو تماما من الإشارة إلى مظاهر الحضارة في قسطنطينية من كنائس أو قصور أو نساء روميات (٧٤) . ولكن الرافعي يلتفت نظره إلى أن المتنبي مثلا قد جاء إلى مصر وعاش فيها وخالط أهلها ، ومع ذلك فليس في شعره وصف للهرم مثلا ، وكل ما كان أنه ذكر كلمة « الهرمين » في شعره ، كما ذكر امرئ القيس لفظه « قيصر » في شعره . ويتساءل الرافعي سلخرا : « أم تحسب أن الهرم كان يومئذ صغيرا ثم كبر ؟ » (٧٥) . هذا ، ولعلنا

(٧٣) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٢٤ وما بعدها ، وتحت

رأية القرآن / ص ٢٧٨ - ٢٨٤ .

(٧٤) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٤٠ .

(٧٥) انظر « تحت راية القرآن » / ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

القارئ يفكر ما قلناه في أوائل هذا البحث من أن كاتب مادة « امرؤ القيس » في دائرة المعارف الإسلامية يصدق بحقيقة امرؤ القيس بل وبرحلته إلى القسطنطينية ، وأن رفض قصة الحب بين الشاعر العربي وابنة القيصر . ومع ذلك فأننا لا نستطيع ، في حدود ما نمعرف حاليا عن امرؤ القيس ، أن نأخذ جانب الرافعي أو طه حسين في مسألة زيارته للقسطنطينية ، ولكن أحيل القارئ إلى ما كتبه الدكتور شوقي ضيف في تحقيقه لهذا الأمر الذي انتهى فيه إلى الظن بأن « امرؤ القيس الشاعر الكندي لم يزر قيصر بيزنطة » بل الذي زاره هو امرؤ القيس اللخمى ، الذي اختلطت أخباره في ذاكرة العرب ، كما يقول ، بأخبار الشاعر (٧٦) . بيد أن موقف الدكتور شوقي ضيف من هذه الرحلة شيء وموقفه من امرؤ القيس كشخص هتبقى شيء آخر ، فانه لا يشك في هذا أبدا ، بل أنه يحاول حتى تحديد بعض التواريخ الهامة في حياته ، كتاريخ ثورة القبائل على أبيه وأعماله وتاريخ وفاته (٧٧) .

هذه بعض آراء د. طه حسين وردود المرحوم الرافعي عليها . وليس معنى هذا أن الأستاذ الرافعي ينكر أن في الشعر الجاهلي منحولا ، بل أنه على العكس يرى أن كثيرا من الشعر الجاهلي قد ضاع وإن بعضه منحول (٧٨) . كذلك فانه قد التفت إلى اختلاف الروايات أحيانا للبيت الواحد والقصيدة الواحدة ، وعلمه باعتماد الرواة على الذاكرة التي رغم

(٧٦) انظر « العصر الجاهلي » / ص ٢٤١ - ٢٤٣ .

٧٧ المرجع السابق / ص ٢٤٣ . وحبذا لو رجع القارئ إلى الفصلين اللذين كتبهما الأستاذ الدكتور عن الشاعر وقبيلته وحياته بأكملها / ص

٢٢٢ - ٢٢٣ .

٧٨ « قصيدة ربيعة القرآن » / ص ١٤٥ - ١٢٦ .

توتها في تلك الأزمان كانت كأي شيء بشري عرضة للهو والنسيان (٧٩) .
وقد سبق أن اشرنا الى أنه عقد للرواية والرواة وقضية الوضع في الشعر
الجاهلي بابا كاملا في الجزء الأول من كتابه « تاريخ آداب العرب » فصل
فيه القول في هذه القضية وذكر الأسباب المختلفة التي دعت الى وضع
الشعر وحمله على شعراء الجاهلية . إلا أن قوله أن الدكتور طه قد بنى
كتاب « في الشعر الجاهلي » على هذا الباب (٨٠) غير مسلم ، لأنه
رحمه الله لم يأت في هذا الباب بشيء مهم يفرد به عما قاله القدماء (٨١) .
علاوة على أن دعواه هذه تتعارض مع اتهامه له بالنقل عن هوار ومرجليوث
وغيرهما من المستشرقين .

ومما لا اتفق معه فيه تماما قوله أن « بيننا وبين الجاهلية ثم من
نقلوا عنها أزمانا متناخضة كادت توفى خمسة عشر قرنا ، وقد باد أكثر
الكتب وذهبت فيها أقوال الرواة وعلم العلماء مما حققوه ونصوا عليه
وما تسامحوا فيه وتوسموا به ، فلا يجوز لكائن من كان بين قطبي الأرض
أن يثبت أو ينكر أو يزيد أو ينقص إلا بنص عن المتقدمين ، لأن هذا العلم لا
يمكن أن يستقيم على اتباع الظن ولا أن يصح على الشك . فان محض
الفرض والتخمين والحدس والاستنتاج إنما يجيء بعد أن تجتمع المسادة
من أطرافها بحيث لا يشذ فيها إلا القليل الذي يفرض فيه لقلته أنه
لا ينقض حكما ولا يبطل رأيا ، للاستغناء بالنصوص الأخرى المتواترة

(٧٩) المرجع السابق / ص ٣٣٦ .

(٨٠) المرجع السابق / ص ١٣٦ .

(٨١) يمكن التحقق من ذلك بالرجوع الى هذا الباب من الكتاب
المذكور . وانظر أيضا د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجاهلي /
ص ٣٧٧ . ود. شوقي ضيف / العصر الجاهلي / ص ١٧٠ ، اللذين يريان
نفس الرأي .

التي تتحقق بها غلبة الظن ان لم يات منها اليقين » (٨٢) . ان الراغبى رحمه الله هنا يحجر واسعا ويصدر حكما ليس من حقه ان يصدره ، اذ من قال ان ما لا يدرك كله يتترك كله ؛ اثنا لو اخذنا بهذا الراى فسوف يثوب عليه اثنا لن نبحت اية مسألة مما يتصل بالقدماء بل ولا بالحديثين ، الا متى توفر لاي انسان كل ما يحتاج اليه للقطع براى يقينى جازم ؟ ان هذا لا يملكه الا واحد فقط هو رب العالمين سبحانه ، الذى احاط بكل شىء علما . ثم ان المرحوم الرامى يجوز ، كما راينا ، اصدار الراى اذا شذ من المادة المطلوبة « القليل » الذى يفرض فيه لقلته انه لا ينقض حكما ولا يبطل رايا . وسؤالنا هو : كيف نعرف ان ما غاب عنا قليل ؟ وبفرض اثنا عرفنا ذلك فمن التكميل لنا بان هذا القليل لو ظهر لنا فلن نطلب نقاشنا راسا على عقب ؟ كل ذلك واضح معروف ، فلما الذى دفع الاستاذ الرامى الى تجاهله والدخول من ثمة فيما دخل فيه من مضيق ؟ ان كل ما يطلب به الانسان ، اى انسان ، هو ان يستفرغ كل وسعته فى البحث والتفكير والتفحص وتقليب الامر على وجوهه المختلفة ، فاذا عمل ذلك مخلصا متريفا وراجع نفسه لعله ان يكون قد نسي شيئا او سها عن شىء فباستئاعته ان يبتقى على بركة الله ويصدر ما ارتاة من حكم ، على ان يتجنب الشبهات ويحل حكمه على قدر غلظه ويصوغه صياغة دقيقة واضحة . وليس معنى هذا انه بعد ان يقوم بذلك كله لن يخطئ ، فالخطا وارد فى كل الاحوال ، وكل المطلوب هو كما قلت الاجتهاد والاخلاص واستفراغ الوسع . والرسول الاكرم عليه صلوات الله وسلامه قد عرفنا ان المسلم اذا اجتهد فاصاب فله اجران ، واذا اجتهد فاخطا فله اجر . ومع ذلك فانى لا ارى للدكتور طه عfra ، اذ انه لم يستفرغ جهده فى تقصى موضوع بحثه بل انساق مع شكوك اصطنعها اصطفاغا سار

بها وراء مرجليوث وغيره من المشرقين . ومن هنا كانت نتائجه متباعدة
أشد التباين .

ويبدو ، والله أعلم ، أن هذا التضيق على الباحثين من جانب المرحوم
الرافعي راجع الى انه يرى الاثقة بنص القرآن « أن لم يكن عليه دليل من
شعرهم (أي عرب الجاهلية) اذ هو وحده المحفوظ عنهم ، وهو كان متن
اللفظة والخبر والاثر . وهو يؤكد انه لولا صنيع العلماء في جمع هذه
الشواهد لقام الف زيديق يضيفون الى مطاعنهم في القرآن أن فيه خطأ
في اللفظة » (٨٣) . فان صح فهمنا هنا فإنا نلاحظ نواقضه رحمه الله على رأيه ،
اذ أن مثل هذه الشواهد ، مهما كثرت وثبتت صحتها ، لن تمنع من في
قلبه مرض من اتهام القرآن بما يريد . كذلك فانه يكفى في نظرنا أن يقول
علماء اللغة المسلمون أن هذه اللفظة من القرآن أو تلك تعنى كذا . فهم
كثيرون يعرفون العربية كما كان الجاهلي يعرفها . ويمكنهم الاستشهاد
بالشعر الاسلامي والاموي على ذلك ، فان هذا الشعر مكتوب بالعربية
مظنا أن الشعر الجاهلي مكتوب بها . ويكفى في الرد على أي زيديق يخشى
الرافعي أن يظن في القرآن بأن فيه خطأ في اللفظة أن نقول إن أحدا من
معاصري الرسول من العرب ، بما فيهم الكفار انفسهم وكذلك اليهود
والنصارى ، لم يعترض على القرآن بأي شيء من هذه الناحية . أي
انه لا خوف على القرآن أبدا ، في نظرنا ، حتى لو افترضنا المستحيل
وقلنا ان الشعر الجاهلي كله مزيف منحول . ومن هنا فان ألف كتاب
كتاب الدكتور طه حسين لن يستطيع أن ينال من القرآن أدنى منال .
ومن هنا أيضا فإنا نوافق الدكتور طه على انه لا خوف على القرآن من
الشك في الشعر الجاهلي ، وان كنا نخالفه في تعليقه الذي يغمز فيه مصنف
القرآن والذي يفهم منه أن الرسول ﷺ هو مؤلفه (٨٤) . كما نخالفه أيضا

(٨٣) تحت راية القرآن / ص ٧٠٦ - ٢٠٧ .

(٨٤) انظر « في الشعر الجاهلي » / ص ١٨٢ - ١٨٣ .

في نتائجه التي ظن أن شكوكه المصطنعة القائمة على غير أساس تؤدي إليها . وأخيرا فأننا لا نوافق المرحوم الرامعي في أن استلزام الآداب يجب أن يكون من المبدعين في الشعر والنثر لأن الذوق الفني المصقول الذي تحتاجه دراسة الأدب لا يمكن في رايه ، أن يتأتى له إلا بهذا الإبداع (٨٥) . كما لا نوافق في أنكره على طه حسين أن يتكلم في الشعر لأن شعره ، أيام أن كان ينظم الشعر ، ركيك في نظره (٨٦) ، فإن الموهبة والقدرة التي تلزم مؤرخ الأدب وناقده تخطف عن موهبة الشاعر وقدراته . وقد يكون الإنسان شاعرا عبقريا ولكنه ليس بشيء في تاريخ الآداب ونقدها ، كما أن الإنسان قد يكون مؤرخا أو ناقدا أدبيا مبرزاً في الوقت الذي لا يتمتع فيه بموهبة الشعر أو النثر الفني . وهذا من الأمور المتعارفة المألوفة منها ، ولا أدرى كيف غلب عن المرحوم الرامعي . ولعله كان يلج بذلك إلى أنه ، وهو الشاعر الحق (في رأي نفسه) ، أحق من طه حسين بتدريس الأدب العربي في الجامعة . أنني لا أشاح في مقدرة الرامعي في القيام بهذه المهمة لو كانت أسندت إليه ، فقد كان له من علمه بالتاريخ والآداب العربي وكتب النقد والتراث ومن رجاحة عقله وثقوب نظره كما رأينا في خلال دراستنا هذه ، وكذلك من ذوقه الأدبي المرفف ، ما كان خليقا أن يساعده خير مساعدة في هذا السبيل . ومن المؤكد أنه كان سيكون أفضل من أي مستشرق ، بل وأفضل من طه حسين نفسه (في ذلك الوقت على الأقل حين كانت معرفة الدكتور طه بالتراث الأدبي العربي محدودة كما رأينا ، مما أوقعه في كثير من الاستنتاجات الشاذة المتهافة) . مرة أخرى أنا لا أشاح في مقدرة الرامعي عليه رحمة الله ، غير أنني لا أوافق على شرطه هذا المتضمن الذي لو كان يؤمن به حقيقة لوجب عليه أن يرفض

(٨٦) المرجع السابق / ص ٢٥١ .

(٨٥) تحت راية القرآن / ص ١٣٠ .

ما كتبه معظم علماء الأصناف المتفرقة الفقهاء الذين لم يكونوا شعواء أصلاً ، بل شعواء قوياً عسراً وكيف ، وهو مالا يمكن أن يقول به ، إذ هو يوليهم ثقتهم ويفعل عنهم ويعمل عليهم .

المصادر والمراجع

- د. إبراهيم عبد الرحمن محمد / بين القديم والجديد / دراسات في الأدب والنقد / مكتبة الشباب / ١٩٨٣ .
- د. إبراهيم عوض / تفسير سورة التوبة / ١٩٨٧ .
- د. إبراهيم عوض / تفسير سورة المائدة / ١٩٨٦ .
- د. إبراهيم عوض / المستشرقون والقرآن / دار الحقوق / ١٩٨٤ .
- د. إبراهيم عوض / مصدر القرآن — دراسة في الاعجاز النفسى / ١٩٨٦ .
- د. أحمد كمال زكى وآخرون / طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / الهلال .
- أحمد لطفى السيد / قصة حياتى / كتاب الهلال / عدد ٣٧٧ / مايو ١٩٨٢ .
- إسماعيل أدهم / طه حسين — دراسة وتحليل / ط . مجلة الحديث / طب / ١٩٣٨ .
- أندريه كريسون / ديكرات (ترجمة تيسير شيخ الأرض) دار بيروت / ١٩٥٦ م .
- أنور الجندي / طه حسين — حياته وفكره فى ضوء الاسلام / دار الاعتصام / ط ١ / ١٩٧٦ .
- برتراند رسل / حكمة الغرب (ترجمة د. فؤاد زكريا) د / ٢ / عالم المعرفة / عدد ٧٣ / ديسمبر ١٩٨٣ .
- د. توفيق الطويل / أسس الفلسفة / دار النهضة العربية / ط ١٩٧٦/٦ .
- د. حسين فوزى النجار / أحمد لطفى السيد — أستاذ الجيل / اعلام العرب / عدد ٣٩ / مكتبة مصر .
- دائرة المعارف الاسلامية / دار الشعب .
- ديكرات / تأملات فى الفلبفة الاولى (ترجمة وتقديم وتعليق د. عثمان أمين) / مكتبة الانجلو المصرية / ط ١ / ١٩٨٠ .

ريشه ديكرت / مقال عن المنهج لاحكام قيادة العقل والبحث عن
الحقيقة في العلوم (ترجمة محمود محمد الخضرى) / ط ١ / المطبعة
السلفية / ١٩٣٠ .

سامح كريم / ماذا يبقى من طه حسين ؟ / دار الشعب / ١٩٧٥ .
سامى الكالى / مع طه حسين / ١٠ / سلسلة اقرا / عدد ١١٢ .
سامى الكالى / مع طه حسين ٢ / سلسلة اقرا / عدد ٣٠١ .
سوزان طه حسين / معك / دار المعارف / ١٩٧٩ .

د. شوقي ضيف / العصر الجاهلى / دار المعارف / ط ٧ /
١٩٧٦ .

طه حسين / الايام / ٢٠ / المعارف / ط ٦ / ١٩٨٢ .
طه حسين / حديث الاربعاء / ١٠ / دار المعارف / ط ١١ /
١٩٧٥ .

طه حسين / حديث الاربعاء / ٣ / دار المعارف / ١٩٤٥ .
طه حسين / حديث الاربعاء / ١٠ / دار المعارف / ط ١١ /
دار العرب للبستانى .

طه حسين / فى الادب الجاهلى / دار المعارف / ١٩٦٤ .
طه حسين / فى الشعر الجاهلى / مطبعة دار الكتب / ١٩٢٦ .
طه حسين / مع المتنبى / لجنة التأليف والترجمة والنشر / ط ١ /
١٩٣٦ (جزآن) .

عباس محمود العقاد / مطلع النور او طوالع البعثة المحمدية / كتابي
الهلل / عدد ٥٠ / مايو ١٩٥٥ .

د. عبد الرحمن بدوى (مشرف) / الى طه حسين فى عيد ميلاده
السبعين / ١٩٦٢ .

عبد المتعال الصعيدى / الحرية الدينية فى الاسلام / ط ٢ / دار
الفكر العربى .

عبد المتعال الصعيدى / دراسات اسلامية / ط ١ / دار الفكر العربى .

عبد المتعال الصميدى / مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين /
مكتبة الجندى .

د. عثمان أمين / ديكرات / ط٣ / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٥٣ .
عثمان نويه / اعلام الفكر الأوربى من سقراط الى سارتر / كتاب
الهلل / عدد ٢١٣ / يناير ١٩٧٧ .

د. عفت الشرقاوى / دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجاهلى /
دار النهضة المصرية ببيروت / ١٩٧٩ .

فتحي رضوان / عصر ورجال / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٦٧ .
كمال ثابت قلته / طه حسين واثر الثقافة الفرنسية فى أدبه / دار
المعارف بمصر .

محمد أحمد عرفة / نقض مطاعن فى القرآن الكريم / ط٢ / مكتبة
الزهراء / ١٩٨٦ .

محمد أحمد الغمراوى / النقد التحليلى لكتاب « فى الأدب الجاهلى » /
المطبعة السلفية / ١٩٢٩ .

د. محمد حسين هيكل / مذكرات فى السياسة المصرية / ط١ / مطبعة
مصر / ١٩٥١ .

محمد سعيد العريان / حياة الرافعى / ط٣ / مطبعة الاستقامة
بالقاهرة / ١٩٥٥ .

محمد بن سلام الجبحى / طبقات نحول الشعراء (شرح محمود محمد
شاكز) / دار المعارف / ١٩٥٢ .

محمد سيد كيلانى / طه حسين الشاعر الكاتب / ط١ / دار القومية
المصرية للطباعة والنشر / ١٩٦٣ .

محمد شلبى / مع رواد الفكر والفن / الهيئة العامة للكتاب / ١٩٨٢ .

د. محمد محمد حسين / الانجازات الوطنية فى الأدب العربى
المعاصر / ط١ / ط٢ / مكتبة الآداب ومطبعتها بالجيزة / ١٣٨٢ هـ .

- محمود شاكر / المتنبي / السفر الاول / مطبعة المدني / ١٩٧٦ .
د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / سلسلة اقرا / عدد ٣٠٥ / ١٥ /
ابريل ١٩٨٥ .
مصطفى صادق الرافعي / تحت راية القرآن — المعركة بين القديم
والجديد / ط ٣ مطبعة الاستقامة بالقاهرة / ١٩٥٣ .
د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية /
دار المعارف بمصر / ١٩٥٦ .
د. نعمات فؤاد / قلم ادبية / عالم الكتب / ١٩٦٦ .

مراجع اجنبية

- Antony Flew, A Dictionary Of Philosophy , Pan Books , 1979,
- Bertrand Russell, A History Of Western Philosophy, George Allen & Unwin Ltd., London 1947.
- Ch. Dezobry & Th. Bachelet, Dictionnaire General de Biographie et d' Histoire . . . , Paris, Librairie Ch. Delagrave, 1883 .
- Clement Huart, Arabic Literature, William Heinemann, London, 1903 .
- Clement Huart, la Litterature Arabe, Librairie Arman Colin, Paris, 1939, 4 ieme edition.
- Descartes, Discours, de La Methode, Hachette et Cie, Paris, 1916 .
- Regis Blachère, Le Coran, Paris, Librairie Orientale et Americaine, 1954 .
- Earl Of Cromer, Modern Egpt, Vol. II, Macmillan & Go., London,
- Enoyclopaedia Of Religion & Ethics, vol . 8.
- Margoliouth, Mohammed & the Rise Of Islam, G. P. Putman's Sons, New york & Lonbon, 1905 .

الدوريات

الاهرام / اعداد الجمعة :

• ١٩٨٦/١/٣

• ١٩٨٦/١/١٧

• ١٩٨٦/٢/٧

• ١٩٨٦/١٠/٣١

• ١٩٨٦/١١/٧

• ١٩٨٦/١١/١٤

الثقافة / سبتمبر ١٩٧٨ ، ونوفمبر ١٩٧٩ ، وفبراير ١٩٨٠ .

الجريدة / ١٩٠٧/٤/٣٠ .

الحديث (الطبية) / نيسان (ابريل) ١٩٣٨ .

النور / ١١ صفر / ١٤٠٧ هـ (١٥ اكتوبر / ١٩٨٦) .

الهلال / سبتمبر ١٩٨٤ .

Journal Of Asiatic Royal Society, July 1925, & July 1927 .

المؤلف

- ١ - الترجمة من الانجليزية - منهج جديد .
 - ٢ - في الشعر الاسلامى والاموى - تحليل وتذوق .
 - ٢ - في الشعر العباسى - تحليل وتذوق .
 - ٤ - في الشعر الاتنلسى - تحليل وتذوق .
 - ٥ - في الشعر العربى الحديث - تحليل وتذوق .
 - ٦ - فصول من النقد القصصى - رؤية جديدة .
 - ٧ - من اعلام النقد القصصى (بالانجليزية) .
 - ٨ - المستشرقون والقرآن .
 - ٩ - مصدر القرآن - دراسة في الاعجاز النفسى .
 - ١٠ - من الطبرى الى سيد قطب - دراسة في مناهج التفسير ومذاهبه .
 - ١١ - تفسير سورة المائدة .
 - ١٢ - تفسير سورة التوبة .
 - ١٣ - محمود طاهر لاثنين .
 - ١٤ - نقد القصة في مصر .
 - ١٥ - Novel - Criticism in Egypt
 - ١٦ - المتنئى - دراسة جديدة لحياته وشخصيته .
 - ١٧ - معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين - بحث موضوعى
- مفصل .

فهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
متى وكيف بدأت معركة الشعر الجاهلى ؟	٩
القضايا المتصلة بهذه المعركة	١٥
اتهام الرافعى لطله حسين فى عقيدته	٢٧
حرية الفكر	٣٩
اتهام الرافعى لطله حسين بسرقة آراء المستشرقين	٤٩
تشابه آراء طه حسين ومرجليوث	٥٦
هل كان طه حسين على علم بمقالة مرجليوث فى الشعر الجاهلى ؟	٦٤
هل استوحى طه حسين نظريته فى الشعر الجاهلى من رينان ؟	٧٨
هل ما قاله طه حسين هو نفسى ما قاله ابن سلام ؟	٩٥
نقد الرافعى لمنهج طه حسين فى دراسة الشعر الجاهلى وآرائه فيه	١٠٥
المصادر والمراجع	١٢٩
كتب للمؤلف	١٣٥

رقم الايداع بدار الكتب ٨٧/٢٩٣٥

مطبعة الفجر الجديد

٣٨ شارع الكبارى — منشية ناصر